التفجيرات النووية الهندية - الباكستانية
رؤية من الداخل

مقدمة :

ظهرت فكرة هذا البحث بناء على طلب من مركز الحضارة للدراسات السياسية بالقاهرة من الباحث إعداد ورقة بحثية عن التفجيرات النووية الهندية - الباكستانية إبان اقامتى فى الهند وباكستان فى مهمة علمية ، حيث أن مجال تخصص الباحث هو اللغة والتاريخ والحضارة فى هذه المناطق الملتهبة بالسعى وراء امتلاك السلاح النووى . وكان هذا الموضوع يمثل الجذور الأولى لاهتمام الباحث ببعض القضايا ذات الأبعاد السياسية الراهنة ، وعلى رأسها السباق النووى الهندى الباكستانى ، وعملية التوازن الاستراتيجى فى جنوب آسيا .

وقد امتدت فترة إعداد هذا البحث فى الفترة ما بين أول يونيو وحتى أول سبتمبر 1998م ، حيث بقيت فى الهند لمده شهرين متنقلاً ما بين بومباى ونيودلهى وفى باكستان قضيت شهراً بين لاهور وإسلام آباد ، حيث كنت شاهد عيان لنبض الشارع الهندى الباكستانى ، وقد زرت مراكز أبحاث الطاقة النووية ، مركز أبحاث الطاقة النووية فى الهند (بهابها) ، ومركز الأبحاث الهندسية (مختبر عبد القدير خان) فى باكستان ، الأول فى منطقة بالقرب من بومباى فى الهند والثانى فى كهوته بالقرب من إسلام آباد فى باكستان . وزرت كذلك موقع التفجير النووى الهندى فى "بوكران" فى صحراء راجستان بالقرب من الحدود مع باكستان ، وموقع التفجير النووى الباكستانى فى "جاغى" فى صحراء بلوجستان بالقرب من الحدود الإيرانية .

وقد اعتمدت فى هذه الدراسة أكثر ما اعتمدت على مصادر من الداخل فى الهند وباكستان ، وأعنى بهذا الداخل هو انعكاس هذه التفجيرات النووية فى داخل الحدود السياسية للدولتين من ناحية ، وداخل الإنسان الهندى والباكستانى وكنت قريباً منهما وأسمع تحاورهما وأفهم لغتهما . فالداخل هو الحكومة والشعب ، القادة والمعارضة ، الأحزاب السياسية على اختلافها الأيديولوجى ، ورجال المؤسسة العسكرية وخبراء الاستراتيجية ، وعلى رأس هؤلاء يأتى العلماء الذين باشروا عملهم فى صمت حتى اكتمل لديهم الحلم القومى ، وظهر فى صورة تفجيرات كان لها أثرها المدوى داخلياً وإقليميا وعالمياً ، إذن دراستى سوف تبدأ من الداخل وتنطلق إلى الداخل .

إن اعتمادى الكامل على الداخل أتاح لى رؤية جديدة ودراسة هذا الحدث عن قرب دون الاعتماد على وسائل الإعلام الغربية.

وقد تعددت مصادر بحثى ، فركزت كل اهتمامى على الكتب التى صدرت حديثاً فى الهند وباكستان إبان تلك الفترة ، والتى تناولت التفجيرات النووية وآراء العلماء والمحللين والخبراء العسكريين فى كلا البلدين ، وعلى المجلات والصحف اليومية والأسبوعية ، سواء كانت قومية أو حزبية بمختلف توجهاتها السياسية والدينية والحزبية والعرقية والمذهبية ، وذلك باللغات المحلية وعلى رأسها الأردية والكشميرية والإنجليزية فى الهند ، والأردية والبنجابية والباشتو فى باكستان .

إلى جانب لقاءات مباشرة مع مسئولين فى كلا البلدين . وقد استمد هذا البحث معلومات قيمة من المسئولين عن البرنامج النووى فى كل من الهند وباكستان ، وهى من المعلومات المسكوت عنها والتى لم تنشر فى الصحف بل نشرت فى تقارير عملية شديدة الخصوصية ، وإن كنت قد لاقيت مرونة فى التعامل وتزويدى بالمعلومات التى طلبتها من الجانب الباكستانى ، فى حين عانيت الكثير والكثير فى سبيل حصولى على تلك المعلومات الخاصة بالبرنامج النووى الهندى .

ولقد سعت الدراسة للإجابة على مجموعه من التساؤلات التى قد تثور فى الذهن العربى المسلم حول هذه القضية وهى كما يلى :

1- كيف تطور السباق الهندى الباكستانى حول امتلاك الأسلحة النووية وما هى الخطوات التى مر بها البرنامج النووى فى كلا البلدين ؟

2- ما هو السباق الداخلى الذى أحاط بما قبل التفجير فى الدولتين : ما أثر وضع الحزب الهندوسى المتعصب (بهارتيا جاناتا) فى الهند ، وحزب الرابطة الإسلامية (مسلم ليد ليج) فى باكستان وكيف أثرت الأزمة الاقتصادية الخانقة ؟

3- ما المبررات المعلنة لإجراء هذه التفجيرات من قبل الطرفين ، سواء على مستوى الحكومة أو المعارضة . وما هى ردود الفعل الداخلية من جانب المعارضة والشعب ، وهل كان هناك اختلاف فى النمط الداخلى فى الهند مقارنة بنظيره فى باكستان ؟ ما هو موقف الجماعة الإسلامية فى الهند وباكستان ، كذلك ما هو موقف المعارضه الرسمية الباكستانية الحالية الرافض للتفجيرات النووية حينما كانت فى الحكم ، أو بعبارة أخرى ما هى درجة التفتت أو التوحد فى الرأى العام فى الهند وباكستان .

4- ما هى الآثار الإقليمية والعالمية المترتبة على قيام الهند وباكستان بالتفجيرات النووية فى ظل شبكة توازنات القوى بين كل من الهند وباكستان وبين أطراف إقليمية أخرى ، وخاصة الصين واسرائيل على سبيل المثال .

5- ما هو تقدير كل طرف لطبيعة رد الفعل العالمى ضد هذه التفجيرات وفرض العقوبات الاقتصادية على الهند وباكستان وما سبل مواجهة هذه العقوبات ؟ ، ودرجة تأثير هذه العقوبات؟ ، وهل كان تأثيرها على المدى القريب والبعيد على باكستان أكثر من الهند ؟ ولماذا ؟

6- ماذا بعد التفجيرات بالنسبة للعلاقات بين الهند وباكستان ؟ وهل ستدفعهم الظروف الجديدة إلى إبرام اتفاق حول كشمير أم العكس ؟ وهل سيتفقون على وقف التجارب النووية مستقبلاً أم سيستمرون فى هذا السباق المحموم ؟

7- ماذا عن البعد الإسلامى فى هذه القضية ؟ وهل فى التصريحات الرسمية الباكستانية إشارة إلى "إسلامية" هذا الحدث؟ ولماذا ؟ وهل من قبيل المصادفة أن يكون مهندس التفجيرات النووية فى الهند وباكستان من المسلمين، عبد الكلام فى الهند وعبد القدير فى باكستان ، وقد نزح الأخير من بهوبال فى الهند إلى باكستان بعد التقسيم عام 1947م .

8- ما هى ردود فعل الدول الإسلامية الكبرى المحيطة بباكستان : إيران - السعودية - دول الخليج ؟

9- ماذا عن إسرائيل والتعاون النووى مع الهند ما هى أشكال التعاون ، أهدافه المعلنة ومدلولاته بالنسبة لتوجه إسرائيل نحو الدائرة المحيطة بالمنطقة العربية (التعاون مع الهند وتركيا) وكيف تفسرها الهند وكيف تنظر إليها باكستان ؟

10- وأخيراً ما هى مدلولات هذه التفجيرات بالنسبة لقدرة الدول الإسلامية على حيازة عناصر القوة اللازمة فى العصر الحالى ، بالرغم من كل قيود النظام الدولى الجديد لمنع انتشار الأسلحة النووية؟

وبالنظر إلى وضع العلاقة بين الدولتين وهى علاقة صراعية ذات جذور مختلفة من ناحية ، وكذلك بالنظر من ناحية أخرى إلى أوضاعهما باعتبارهما من الدول التى تواجه شعوبها مشاكل اقتصادية ، وبالنظر من ناحية ثالثة إلى دأبهما فى السعى لحيازة الأسلحة النووية بالرغم من كل الضغوط الدولية ، وبالنظر إلى هذه الاعتبارات الثلاثة المتداخلة يمكن القول أن الإجابة على الأسئلة السابقة لابد وأن تتمحور حول إشكاليات ثلاثة كبرى . وهذه الإشكاليات هى:

العلاقة بين الصراع الإقليمى وبين دوافع حيازة أسلحة الدمار الشامل ، العلاقة بين التنمية والتسابق على التسلح ، العلاقة بين قيود النظام الدولى لمنع الانتشار وبين الإرادة السياسية والقرار السياسى الوطنى بحيازة الأسلحة التى تعمل جاهدة القوى الكبرى لمنع انتشارها . هذا وتكتسب دراسة هذه الإشكاليات جاذبية خاصة فى ظل طبيعة المرحلة الراهنة من النظام

الدولى ، أى مرحلة ما بعد نهاية الحرب الباردة . وهى المرحلة التى تشهد إعادة تشكيل التوازنات الإقليمية فى مناطق مختلفة من العالم ومن بينها جنوب آسيا . ولقد كانت التفجيرات النووية الهندية الباكستانية من أهم محكات اختبار طبيعة هذه التوازنات الجديدة واتجاهاتها المحتملة. كما كانت محكا هاما لقضية أخرى تهمنا فى المنطقة العربية وهى قضية المعايير المزدوجة عند تطبيق سياسات منع الانتشار النووى .

هذا وتنقسم الدراسة إلى أجزاء ثلاثة وخاتمة تتصدى للإجابة على مجموعات الاسئلة السابق طرحها .

والجزء الأول تحت عنوان : السياق الداخلى للحدث أما الجزء الثانى فيدور حول الأثار الإقليمية والعالمية للحدث ويدور الجزء الثالث حول الأبعاد الإسلامية للحدث وعلاقة إسرائيل به .

أولاً : السياق الداخلى للحدث فى كل من الهند وباكستان :

1- التفجيرات النووية الهندية - الباكستانية :

تطورات البرامج النووية السابقة ومبررات التفجيرات الراهنة إشكالية الاعتماد على الذات فى مواجهة القيود الخارجية .

لقد مر البرنامج النووى فى الهند وباكستان بطريق طويل من الاعتماد على الذات رغم العقبات التى اعترضت طريقه سواء كانت عقبات خاصة بالتكنولوجيا ، أو بالنفقات المالية ، أو بإصرار الدول النووية على منعهما من مواصلة جهودهما فى هذا المجال ، إلى جانب أن تلكما الدولتين من الدول النامية التى تسعى بخطى سريعة لتوفير احتياجات شعبيهما فى ظل نمو بشرى مرتفع يلتهم كل خطط التنمية فى كلا الجانبين .

وفيما يلى سوف نستعرض تطور البرنامج النووى كل من الهند وباكستان بشكل مختصر يعطى للقارئ خلفية واضحة عن قصة الكفاح الطويلة التى كللت بالنجاح فى كلا البلدين :

1- الهنـــد :

دأبت الهند منذ حصولها على الاستقلال عام 1947م ورحيل المستعمر الإنجليزى على السعى للحصول على السلاح النووى وتم تشكيل لجنة الطاقة الذرية الهندية برئاسة العالم الهندى هومى بهابها عام 1948 ، وكان العمل قد بدأ بالفعل فى معهد "تاتا" للبحوث الرئيسية الذى تم انشاؤه من قبل صندوق "دورابيجى تاتا" عام 1945 ويعد هذا المعهد المهد الأول للبرنامج النووى الهندى ، ثم أطلق عليه بعد ذلك اسم مركز بهابها للبحوث الذرية والذى بدأ العمل فيه عام 1954م ، ومنذ البداية والبرنامج النووى الهندى يرمى إلى الوصول إلى مرحلة الاعتماد على النفس بصورة كبيرة ، وقد تم تطوير الخبرة المحلية عند طريق إسناد مختلف المهام للعلماء الهنود ، ودعم ذلك بالمساعدة الأجنبية كلما سمح الأمر بذلك .

وتم إنشاء مدرسة للتدريب على الطاقة النووية فى عام 1957م ، تخرج منها ما يقرب من ستة آلاف خريج صاروا نواة لتطوير البرنامج النووى الهندى ، ومن أقوال "هومى بهابها" فى ذلك الوقت "أن الصلة بين التكنولوجيا محلية الصنع والمشاركة الأجنبية تماثل الصلة بين محرك الطائرة والمساعدين ، فالتكنولوجيا المحلية مثلها مثل محرك الطائرة ، بينما تلعب المشاركة الأجنبية دور المساعدين التى يمكن أن تعطى الطائرة دفعة عند الإنطلاق ، ولكنها فى الوقت نفسه ، لن تكون كافية لتحريك الطائرة ما لم يتم تشغيل المحرك" (1).

وقد كانت مثل هذه الفلسفة التى ارتكزت فى جوهرها على الاعتماد على الذات هى التى مكنت البرنامج النووى الهندى من تخطى العديد من الضغوط ، واجتياز مختلف الفترات الصعبة بثبات وتصميم ، ومن مثال ذلك ما واجهه برنامج الطاقة الذرية من مشكلات عندما تراجعت الولايات المتحدة عن التزامها المتضمن توريد وقود اليورانيوم لمحطة "تارابور" ، أو عندما أوقف الكنديون كل المساعدة التى كانوا يقدمونها لمحطات راجستان للطاقة ، التى كانت تحت التشييد فى ذلك الوقت فى أعقاب التجربة النووية التى أجرتها الهند فى "بوكران" فى 18 مايو 1974م ، وكانت

قرارات الحظر التى تم فرضها فى أعقاب تلك التجربة النووية بمثابة تحد ودافع للهند للمضى فى سياسة الاعتماد على الذات ، وتطوير القدرات المحلية ، ومن مثال ذلك قيام الهند بتطوير وقود بديل عندما أوقفت الولايات المتحدة وامدادها باليورانيوم المخصب وكذلك تطوير أجهزة الكمبيوتر المتوازية المحلية "آنوبام" فى مركز بهابها للبحوث الذرية ، وللعديد من التقنيات التى ساعدت الهند فى تطورها للوفاء بمتطلبات التنمية مثل البحث والتنقيب عن أحجار اليورانيوم ذى درجة نقاء نووى ، وتحضير عناصر الوقود ، وتصميم وصنع أنظمة التحكم فى المفاعل ، وتحضير المياه الثقيلة ، وإعداد النظائر المشعة وتطوير استخدامها ، والتعامل مع المكونات ذات النشاط الإشعاعى ، وإعادة تصنيع عناصر الوقود لاستخراج البلوتونيوم ، والرصد الجوى والتأمين ضد الاشعاع ، والتجهيزات الأخرى فى مدينتى بومباى وبونا(2) .

وهكذا رأينا أنه ومنذ الاستقلال كانت السياسة النووية الهندية محكومة بعاملين هامين : هما رغبة الهند فى ملاحقة الصين تكنولوجياً ، وتحقيق نوع من التكافؤ الاستراتيجى معها ، ورفض الهند لحالة عدم التوازن واللامساواة القائمة فى الساحة الدولية فى مجال الانتشار النووى .

وكان نهرو من أوائل الذين نادوا بنزع السلاح النووى، وشارك فى وضع القرارت الدولية الخاصة بذلك فى الجمعية العامة للأمم المتحدة فى الخمسينات ، وطالب فى عام 1954م بتجميد وإيقاف التجارب النووية ، حتى لا تؤدى إلى انتشار الأسلحة النووية ، وحتى لا تضطر الهند بدورها إلى اللجوء إلى حيازة هذه الأسلحة رغم أنفها لأسباب خاصة بأمنها القومى ، لذا فإن الهند من خلال هذه المنطلقات ركزت فى البداية على الاستخدامات السلمية للطاقة النووية ، وكان هذا الاهتمام مرتبطاً بادراك القادة والسياسيين لأهمية التكنولوجيا النووية التى تعتبر ركنا محورياً من أركان الثورة الصناعية التى قد تفيد الهند بشدة فى عملية التطور الاقتصادى ، وقد ساعدت الحكومات الهندية المتعاقبة ، بدءاً من جواهر لال نهرو ، القائمين على البرنامج النووى الهندى ، وقدموا لهم العون المادى والدعم السياسى وفى عام 1955م بدأ إنشاء أول مفاعل نووى بحثى فى آسيا (قدرة 1 ميجاوات) يعتمد على وقود عالى الإثراء تم استيراده من أوربا (فرنسا وإنجلترا) وبدأ عمله فى عام 1956م (3).

وتقوم مؤسسة الطاقة النووية الهندية الآن بتشغيل محطات نووية فى خمسة أماكن ، وتشكل هذه الوحدات 6% من إجمالى الطاقة المركبة لكافة الولايات ، حيث تعمل محطات للطاقة النووية حققت إنجازات هائلة بدأت ببناء محطة "تارابور" فى جنوب الهند ، وتم تأسيس مجمع الوقود النووى بحيدر آباد محلياً لتصنيع الوقود اللازم لمفاعلات الأبحاث ومفاعلات الطاقة والمكونات الهيكلية للمفاعلات المتقدمة ، وقد قام المجمع بتصنيع وقود المفاعلات الخاصة بالمياة الثقيلة المضغوطة طبقاً للمقاييس العالمية . ومصانع المياه الثقيلة فى الهند يتم تشغيلها بطاقة عالية تغطى الاحتياجات المحلية وتخلف فائضاً للتصدير وتملك الهند الآن مصنعين لإعادة تصنيع الوقود فى ترومباى وثارابور ، ومصنعاً آخر فى مرحلة متقدمة من البناء فى "كالباكام" وتعد الهند إحدى الدول القليلة التى تمتلك طاقة وتسهيلات راسخة تغطى دورة تصنيع الوقود كاملة .

وتحتل الهند مكانة متميزة حتى بين الدول المتقدمة التى تمتلك مفاعلاً سريعاً فى التشغيل ، فقد حقق مفاعل الاختبارات للمولد السريع مستوى طاقة وصل 10.5 ميجاوات سجلت فى نحو 11.000 ساعة من التشغيل باستخدام وقود تم تطويره وتصنيعه محلياً .

وفى ديسمبر 1956م بدأ تنفيذ برنامج التعاون بين الهند وكندا بإنشاء المفاعل الكندى الهندى وقدرته 40 ميجاوات وقوده اليورانيوم الطبيعى الفلزى . (واكب ذلك الوقت إنشاء لجنة الطاقة الذرية المصرية).

وفى عام 1957م افتتح رئيس الوزراء جواهر لال نهرو مؤسسة الطاقة الذرية والمفاعل النووى البحثى الأول "اسبارا" أول مفاعل نووى فى آسيا بما فيها اليابان، كما تم فى

عام 1959م تشغيل مصنع إنتاج اليورانيوم بالنقاوة النووية العالمية، وذلك من خامات تم استخراجها محلياً، وفى عام 1960 تم تحضير شحنة الوقود النووى لتشغيل المفاعل الهندى الذى أقامته كندا وتم تشغيله بنجاح ، ورغم ذلك فإن البداية الحقيقية للبرنامج النووى العسكرى الهندى كانت فى عام 1955م .

وتم فى عام 1960م بناء مفاعل صغير تم تصميمه فى الهند ، وتم تشغيله فى عام 1961 ، وهذا العام شهد أيضاً تشييد محطة لإعادة معالجة الوقود وإنتاج البلوتونيوم من الوقود الخاص بالمفاعل الهندى الكندى ، وبدأ العمل فيه فى 1964م .

وبعد هذا المشوار الطويل من الاعتماد على الذات استكملت الهند دورة الوقود النووى التجريبى حول المفاعل الكندى ، ثم بدأت فى إنتاج وإقامة مفاعل صغير يعتمد على فلز اليورانيوم والماء الثقيل ، فكانت بذلك أول دولة نامية تستطيع تطوير هذه التكنولوجيا المتكاملة بعد الدول النووية الكبرى ، وأصبح الطريق ممهداً لإنتاج البلوتونيوم(4).

وقد أدى التفجير النووى الصينى عام 1964م إلى إحداث نوع من التغيير الجذرى فى السياسة الهندية ، حيث شعرت الهند بإهانة كبيرة لها ، وأنها متخلفة عن الصين من حيث القدرات التكنولوجية والتوازن الاستراتيجى ، خاصة أن هذا التفجير الصينى جاء بعد أن نالت الهند هزيمة عسكرية على يد الصين فى عام 1962م ، واستولت الصين على مناطق شاسعة من الحدود الشرقية والشمالية للهند وقد دفع ذلك الهند إلى إعداد برنامج لإنتاج أسلحة نووية قادرة على ردع الصين . فقامت بتطوير قدراتها النووية ، وبدأت فى فصل البلوتونيوم فى محطة لإنتاج البلوتونيوم ظلت تعمل من عام 1964م، حتى 1974، ولهذا كانت الهند من أقوى المعارضين لمعاهدة منع انتشار الأسلحة النووية التى دخلت حيز التطبيق 1970 . ولم تقبل الانضمام إليها . ولقد أفضت الجهود الهندية لإجراء تفجير نووى 1974، أثناء حكم حزب المؤتمر الهندى برئاسة انديرا غاندى ، وأعلنت الهند بعد ذلك التفجير توقفها عن إجراء تفجيرات نووية بعد أن أثبتت للعالم قدرتها على صنع القنبلة النووية . وكانت الهند قد أطلقت على هذا اسم التفجير النووى السلمى ، على أساس أن كندا قد أمدت الهند بهذا المفاعل لاستعماله فى الأغراض السلمية ، إلا أن التفسير الهندى لاستخدام البلوتونيوم فى التفجيرات السلمية كان على النقيض تماماً من التفسير الكندى ، وتم الاختلاف بين الهند وكندا وتطور إلى قطيعة تركت كندا على إثرها أى ارتباط بالبرنامج النووى الهندى(5) .

وكانت الهند فى ذلك الوقت قد اكتسبت خبرات تكنولوجية واسعة مكنتها من الاعتماد على نفسها فى إنتاج البلوتونيوم وهذه الفترة تعد هندية تماماً من حيث الخبرة والتصميم والتطوير ، حيث تم تشييد مفاعل لإنتاج البلوتونيوم قدره 100 ميجاوات من نوع الماء الثقيل والوقود النووى الفلزى فى عام 1975 ، وتشغيله فى عام 1985م، ويقدر العلماء سعة إنتاج البلوتونيوم من هذا المفاعل بحوالى16-26 كيلو جراماً سنوياً من النوع عالى النقاوة أى أن إنتاج البلوتونيوم فى السنوات العشر التى عمل فيها يبلغ 250 كيلو جراماً أى حوالى 50 قنبلة ذرية ، وهذا المفاعل إنتاج هندى وتكنولوجية هندية كاملة ، ولا يخضع لأى سيطرة أو تفتيش دولى ، وهكذا أجرت الهند تفجيراتها النووية الخمس الأخيرة بعد أن اعتمدت على هذا المفاعل وتطوير قدراتها النووية بنفسها .

ومنذ بداية التسعينات بدأت الهند فى التفكير فى قدرة الصين العسكرية ، وفى التعاون الاستراتيجى والنووى بين الصين وباكستان ، حيث ترى الهند أن هذا التعاون الاستراتيجى يعد تهديداً حقيقياً خاصة أن الهند لها خلافات حدودية مع هاتين الدولتين. ومما يعمق هذا العداء اعتقاد العسكرية الهندية أن الجيش الباكستانى يسعى لزيادة قدرته على تخصيب اليورانيوم ، وإنتاح سلاح نووى موجه فى المقام الأول للهند العدو التقليدى، وزاد من هذه المخاوف وهذا الاعتقاد بناء باكستان لمفاعل أبحاث صغير تتراوح قوته بين 50-100 ميجاوات بمساعدة الصين فى منطقة (خوشاب) بالبنجاب ، ويمكن لهذا

المفـاعل إنتـاج بلوتوينوم قـادر على صنع أسلحة نووية (6) .

وفى أعقاب تسلم حزب بهارتا جاناتا (B . J . P) الحكم فى الهند (مارس 1998م) طالب بتنشيط البرنامج النووى ، والبدء فى تجربته ، وذلك لمواجهة التهديدات الباكستانية التى تعمل على عدم استقرار الهند بسبب دعمها للمجاهدين فى كشمير . وتم للحزب ما أراد وقامت الهند بإجراء خمس تجارب نووية فى يومى 11-13 مايو 1998م وهلل لها اتل بهارى باجباى رئيس الوزراء ولال كبرشنا أدوانى وزير خارجيته ، وهما من أشد المؤيدين للتفجيرات النووية و"القومية الهندية" ، وعندما أجرت الصين تجربة نووية عام 1964م كان باجباى عضواً فى مجلس الشعب الهندى ، فألقى كلمة فى المجلس أعلن فيها "إن الرد على التفجيرات النووية لا يتم إلا بالتفجيرات النووية ولا شئ سواها" .

وفى عام 1974م عندما أقبلت أنديرا غاندى على اجراء تجربة نووية أعلن أدوانى أن "القومية الهندية قد رُد لها اعتبارها فى هذه الأيام مرتين ، المرة الأولى عندما دخلت جيوش الهند دكا لتحررها ، والمرة الثانية عندما دخلت الهند بتفجيرها النووى النادى الذرى" .(7)

2- باكستان :

بدأت باكستان فى التفكير الجاد لتطوير قدراتها النووية فى عام 1971م فى أعقاب الحرب مع الهند تلك التى خرجت منها باكستان مهزومة ، وتم فصل الجناح الشرقى من الدولة الباكستانيه كدولة مستقلة هى بنجلاديش ، ثم كانت التفجيرات النووية فى عام 1974م بمثابة تحد جديد لباكستان التى بدأت فى البحث عن مخرج لها لمواجهة التفوق الهندى .

ويعد عام 1976م علامة بارزة فى تاريخ البرنامج النووى الباكستانى ، عندما تبنى رئيس وزراء باكستان آنذاك ذو الفقار على بوتو هذا المشروع من منطلق قومى لكى يحقق التوازن الاستراتيجى بين الهند وباكستان ، وفى يوم 31 يوليو 1976م تم إنشاء هيئة الأبحاث النووية تحت اسم "معهد الأبحاث الهندسية" ، وكان الهدف من إنشاء هذا المعهد هو تخصيب مادة اليورانيوم ، والوصول به إلى درجة فى النقاوة ، والقدرة على إنتاج القنبلة النووية وخلال ست سنوات أصبحت باكستان تملك قدرات نووية وقاعدة صلبة ، وتم استخدام هذه القدرات فى الجوانب السلمية ، وقد وصلت باكستان إلى هذه المرحلة المتقدمة بعد جهد مضاعف لفريق العلماء الباكستانيين بقيادة العالم عبد القدير خان "أبو القنبلة النووية الباكستانية" ، ومؤسس البرنامج النووى ، وكان عبد القدير خان قد أمضى خمسة عشر عاماً فى أوربا درس فى أشهر جامعاتها ، مثل جامعة التكنولوجيا فى غرب برلين وجامعة برستيجيوس(8) للتكنولوجيا فى هولندا وجامعة لونين فى بلجيكا وعمل فى هولندا لعدة سنوات فى تخصيب اليورانيوم . بعدها عاد إلى باكستان ، ووفرت له الحكومة (حكومة ذو الفقار على بوتو) كل الإمكانيات للوصول إلى هذا الهدف ، وملاحقة الهند فى التكنولوجيا النووية ، وبهذا وصلت باكستان إلى القدرة على إنتاج القوة النووية سريعاً وفى مدة قياسية - أسرع من البرنامج الهندى - وصار لباكستان مكان بارز على خارطة العالم النووية ، وقد لاقت خطة عبد القدير خان الطموحة لإنتاج أول قنبلة نووية إسلامية تحديات عديدة من قبل الدول الغربية ، للحيلولة دون الوصول إلى التقنية النووية بأى ثمن ، لكن كانت الحكومة الباكستانية سريعة الاستجابة لعرض الدكتور عبد القدير خان لتخصيب مادة اليورانيوم (U - 235) لجعلها قادرة على إنتاج قنبلة نووية .

ولقد وصف د. خان مدى الصعوبة العلمية للعمليات اللازمة لهذا الإنجاز وفيما يلى - نقلاً عنه- وصفا لصعوبات أخرى:

لقد استطعنا أن نضع مشروعاً جسد قدراتنا الوطنية وكبريائنا . وجدير بنا أن نذكر هنا أنه على الرغم من أن العالم الغربى كان يبث سمومه وحقده على المشروع الباكستانى ، إلا أن العديد من دوله تسابقت ليكسبونا كمشترين لمنتجاتهم التى نحتاجها فى مشروعنا . وأذكر أننا اتفقنا مع شركة "دامرسون" وقمنا باستيراد بعض الأجهزة الخاصة للمشروع ، ولكننا

وجدناها ليست بالكفاءة المطلوبة ، وطلبنا منها الالتزام بالاتفاق إلا انها لم تلتزم بالاتفاق وسربت هذه الشركة لقناة "بى - بى - سى" البريطانية فيلماً يهدف للتشهير بمشروعنا تحت اسم "القنبلة الإسلامية"(9).

... "وبعد هذا التشهير انهالت علينا مئات العروض من شركات أجنبية تعرض علينا أن نشترى منتجاتها ، ووصل الأمر لدى بعضها لإرسال خطابات رجاء أن نشترى منها ، وقمنا بشراء ما رأيناه مناسباً لمشروعنا ، بل كنا فى بعض الأحيان نطلب منهم تغيير بعض الأجهزة وتبديلها بما هو مناسب لنا" .

... "على أن الخطوة الجبارة فى مشروع كهوتا هى كيفية بناء المشروع والوصول إلى النتائج الإيجابية بفترة قياسية لا تزيد عن ستة أعوام ، فقد كانت الخطوات التمهيدية فى راو لبندى ، وكان العمل جارياً بسرعة لتوفير كافة المعدات والأجهزة المعقدة والمطلوبة للعمل ، وكنا نحن بدورنا نعمل على تصنيع النموذج المبدئى لآلة الطرد المركزى فى نفس الوقت كان الرسم الميكانيكى والمعمارى للمشروع الرئيسى يتم وإعداده" .

... "إن عقدين كاملين من عمر مشروعنا "كهوتا" لم يمضيا بسهولة ويسر بل واجهنا لإتمامه صعوبات ، وواجهنا ضغوطات اقتصادية وسياسية ، وكانت فترة السبعينات من أشد الفترات التى تعرضت فيها باكستان لضغوط هائلة لحرمانها من حقوقها القانونية فى امتلاك تكنولوجيا عصرية تطمح فى استخدامها لأغراض سلمية بحثه ، ولتغطية النقص فى موارد الطاقة لديها . وأعلن ذو الفقار على بوتو رئيس وزراء باكستان "أننا مستعدين لأن نأكل الأعشاب ولكننا مصممين على تطوير برنامجنا النووى"(10) .

يقول د. عبد القدير خان "عندما أعلنا فى نهاية الأمر عن مشروع "كهوتا" ثارت ثائرة العالم الغربى ، وبدأت الحملات الإعلامية المغرضة ضد المشروع وتعرضنا لمقاطعة وحصار ، بل تعرضت لمحاولة اغتيال ولحملة تشهير ، واتهمونى بسرقة أسرار نووية بالغة الأهمية ، ورفعت ضدى قضية فى المحكمة ، وشهد عدة علماء فى المجال النووى من عدة بلدان مثل هولندا وبلجيكا والمانيا وبريطانيا أن هذه المعلومات هى عادية جداً بالنسبة للعاملين فى هذا المجال وليست سرية ، فقضت المحكمة برد القضية ولم تجد ما تدينني به(11) .

وقد تميز فريق الخبراء والمهندسين العاملين فى مشروع كهوتا بالبراعة والخبرة العالية ، فقد تمكنوا من العمل على آلة الطرد المركزى الجديدة ، وأكثر من ذلك تمكنوا من تصميم عدة أنظمة وعمليات أخرى ، كما عملوا على قياس الضغط وصمموا أجهزة خاصة للتحكم به، لأن عملية التخصيب تحتاج إلى نظام وقائى معقد وقد قمنا بتصميمه بأنفسنا وعملنا على لحم آلاف من أنابيب الألمونيوم لتصميم نظام التغذية فى الآلات.

... "لقد ساعدنا العداء الغربى لمشروعنا ومقاطعتهم لنا ، بعدم السماح باستيراد الأجهزة المطلوبة ، على الاعتماد الكامل على أنفسنا فى توفير كافة الأجهزة والمعدات المطلوبة ، وكانت روح التحدى هى التى تدفعنا إلى مقاومة هذه الضغوط . الآن أصبح لدينا قدرة كاملة لإنتاج كافة الأجهزة المعقدة كجهاز تحويل التيار الطردى إلى تيار متردد ومحولات القوة وأجهزة قياس الضغط والحاسبات الآلية ومعظم أنواع الصمامات النووية ، وغيرها من الأجهزة المعقدة (12) .

إن مشروع كهوتا هو جهد كل شعب باكستان ، ورمز للدول الفقيرة والنامية للتحدى والنضال ضد سيطرة الدول الكبرى وابتزازها . هذا وكانت الباكستان قد تعرضت لضغوط ضد برنامجها تتلخص فى : (ضغوط أمريكية على المساعدات العسكرية والاقتصادية) .

2- السياق الداخلى فى الهند وباكستان قبل التفجير :

تتسم منطقة شبه القارة الهندية الباكستانية بكثير من المتناقضات السياسية والاقتصادية والمناخية ، وكل من الهند وباكستان من دول العالم الثالث ، ولكنهما كانا يصنفان ضمن دول العتبة النووية ، واستطاعا بعد جهد تطوير برنامجيهما النووى اعتماداً على قدراتهما المحلية ، وقبل أن نخوض فى موضوع

التفجيرات النووية يجدر بنا أن نطوف على السياق الداخلى فى كلا البلدين لنرى هل كان السياق الداخلى مهيأ لقبول هذه الفكرة وإرهاصاتها المختلفة وقبول التحدى أم لا؟ بداءة تميز الوضع السياسى فى كل من الهند وباكستان بعدم الاستقرار والهشاشة إلى جانب الأزمة الاقتصادية الخانقة .

بالنسبة للهند ، صاحبة أكبر الديمقراطيات فى العالم الثالث ، فإن الوضع السياسى فيها أخذ منذ عقد يفتقد إلى الاستقرار ، الذى هو أساسى لعملية التنمية ، نتيجة عدم حصول أى حزب على أغلبية كبيرة تمكنه من تشكيل الحكومة بمفرده ، ومن ثم يستطيع أن ينفذ برامجه وأجندته السياسية التى تتوافق مع توجهاته السياسية والأيدلوجية ، فمنذ أن استقلت الهند فى عام 1947م وحزب المؤتمر الهندى - بما ناله من مكانة تاريخية أثناء رحلته الطويلة لنيل الاستقلال - يجلس على كرسى الحكم ، وقد حكم هذا الحزب الهند أكثر من اربعين عاماً وتناوبت على رئاسة الحزب عائلة نهرو رغم أن أنديرا غاندى وابنها راجيف غاندى قد فقدا حياتهما بسبب الصراع الطائفى فى دولة شاسعة الأرجاء تحتوى فيما تحتوى عليه من التركيبة الاجتماعية على عناصر الانفصال أكثر من عناصر الاتحاد ، فمع الأغلبية الهندوسية التى تصل إلى 65% من عدد سكان الهند البالغ أكثر من تسعمائة مليوناً نجد أن المسلمين أكبر الأقليات حوالى 18% ثم يأتى بعدهم السيخ والتاميل وأقليات مسيحية وبارسية ويهودية وغيرها.

لكن بعد نهاية حكم عائلة غاندى التاريخية تعاقب على الهند عدة وزارات افتقدت إلى الأغلبية ، فكانت تسقط الواحدة تلو الأخرى وكل هذه الوزارات كانت تتسم بالطابع العلمانى الذى حاولت عن طريقه أن تحافظ على وحدة الهند لتباين الأديان والمذاهب فيها وأدى الصراع على الحكم فى الهند إلى تعثر خطط التنمية ، وظهرت فوارق كبيرة بين الطبقتين الغنية والفقيرة (13) .

وفى الانتخابات الهندية الأخيرة فى 1998 حدثت مفاجأة كبيرة ربما يكون لها تأثير فيما بعد على وحدة الهند ذاتها ، إذ نجح حزب "بهارتياجاناتا" حزب الشعب القومى الهندوسى فى الحصول على أعلى الأصوات ، متفوقاً على حزب المؤتمر نتيجة لفقد الحزب الأخير أصوات المسلمين فى الانتخابات الأخيرة بسبب واقعة مسجد بابرى الذى تم هدمه على أيدى جماعات هندوسية متطرفة ، مما أوغر صدر المسلمين - وهم قوة انتخابية لا يستهان بها ويُعمل لها حساب فى لعبة الأحزاب السياسية - وبرغم حصول حزب "بهارتياجاناتا" حزب الشعب القومى الهندوسى على أعلى الأصوات إلا أنه لم يستطيع أن يشكل حكومة بمفرده ، فشَّكل حكومة إئتلافية مع أحزاب أخرى صغيرة، ويمثل هذا الحزب الهندوسى المتطرف العقلية الهندوسية وقد تصاعدت شعبية هذا الحزب الذى قاد المسيرات والمجازر فى المدن الهندية ضد المسلمين ، فمن نائبين فقط 1984م للحزب فى البرلمان الهندى ازداد عدد نوابه ليصبح (86) نائباً عام 1989م ثم (117) نائباً عام 1991 ، ثم (163) نائباً فى 1996م إلى أن وصل إلى (250) نائباً فى انتخابات 1998 وهو ما يوضح تصاعد التأييد لهذا الحزب المتعصب الذى ينادى بجعل الهند دولة هندوسية تكون فيها - بنص القانون - كل القوانين نابعة من الديانة الهندوسية ، ومعبرة عن تطلعات الهندوس ، دون النظر لوجود أقليات دينية أو عرقية أخرى فى الهند ، وقد دافع حزب بهارتيا جاناتا عن قيام أنصاره بهدم المسجد البابرى فى ديسمبر 1992 فى مدينة ايوديا ، رغم تأكيد كاليان سينج رئيس حكومة ولاية اوتاربراديش (وهو من حزب بهارتياجاناتا) للمحكمة العليا فى الهند بأنه لن يسمح بهدم المسجد البابرى وسيعمل على حمايته (14) .

ويطالب حزب بهارتياجاناتا باتخاذ تغييرات فى السياسة الهندية سواء داخلياً أو خارجياً ، ويطالب بوضع قانون موحد للأحوال الشخصية فى الهند ، وهو ما سيؤثر سلباً على المسلمين الذين يحتفظون بقوانينهم الخاصة فى هذا المجال ، كما أنه يخاطب الطبقة العليا من الهندوس ، وهذا ما يقود إلى عدائه مع الأقليات غير الهندوسية على اختلافها . إضافة إلى ذلك موقفه واضح العداء من كشمير وكل ما هو

إسلامى أو ما يسمى بشرعية دولية ، فقد أعلن زعيم الحزب اتل بيهارى باجباى أنه بعد تسلمه السلطة سيعمل على إلغاء الوضع الخاص بكشمير فى الدستور الهندى وسيعمل على ضم كشمير الحرة التى تحت يد باكستان ، ولن يتوانى فى شن حرب جديدة على باكستان لتلقينها درساً لن تنساه(15) .

وقد نجح حزب بهارتيا جاناتا رغم هذا العداء الظاهر للمسلمين فى الهند فى استقطاب الناخبين المسلمين وكسب تأييدهم له فى الانتخابات الأخيرة ، واستمال عدداً من الذين انسلخوا عن دينهم من مسلمى الهند ليرشحهم باسمه فى الانتخابات بعد أن فشل حزب المؤتمر فى إثبات مصداقيته فى حماية المسلمين والدفاع عنهم ، وكأن لا خيار للمسلمين فى الهند إلا الموت تحت مطرقة حزب المؤتمر وسندان بهارتيا جاناتا.

ووعد اتل بهارى باجباى بتطوير البرنامج النووى الهندى وإعلان الهند دولة نووية فى حال وصول حزبه للسلطة ، وهو ما يهدد الدول المجاورة للهند فى المنطقة ويهدد أمن وسلامة العديد من دول المنطقة. ولم يكد الرئيس الهندى يعلن تكليف زعيم حزب بهارتيا جاناتا الهندوسى المتعصب بتشكيل الحكومة الجديدة فى دلهى حتى أظهر قادة هذا الحزب علناً نظرتهم التوسعية ورغبتهم فى السيطرة على الدول المجاورة ، وذلك من خلال الإصرار على المضى فى المشروع النووى الهندى وبرنامج الصواريخ الهندية، وقد أثارت تصريحاتهم حول هذه المسائل المخاوف من تفجير الأوضاع فى جنوب آسيا من جديد ، كما أنها أبرزت للسطح بعضاً من الأطماع الهندوسية ورغبة الهندوس فى تفتيت وحدة المسلمين بالتعاون مع اليهود فى إسرائيل .

لكن بسبب الانقسامات الداخلية وتنامى روح الانفصال فى العديد من أقاليم الهند فإنها مرشحة للتفتت مثلما جرى للاتحاد السوفيتى سابقاً ، خاصة أنه من الصعب على أى حزب أن يحرز أغلبية ساحقة فى البرلمان يستطيع أن يشكل حكومة بمفرده، لأن الحكومة الائتلافية ضعيفة وغير قادرة على اتخاذ قرارات فى المفاوضات مع باكستان حول كشمير أو غيرها ، ولا تستطيع إنهاء حركات الانفصال فى شرق وجنوب وشمال الهند (16) .

أما الوضع الاقتصادى الهندى فإنه يعانى من صعوبات عديدة ، ومازالت الهند حتى الآن فى إطار الاشتراكية ولم تطبق اقتصاد السوق ، وتفرض قيوداً كثيرة على حركة الاستيراد من الخارج ، وهناك قيود على النقد الأجنبى ، إلى جانب سعر الروبية غير المستقر أمام العملات المختلفة وعلى رأسها الدولار والعملات الآسيوية الأخرى.

ولنا أن نتخيل هذا الوضع الهندى الداخلى فى ظل أزمة اقتصادية ونمو بطئ فى التنمية من جانب ، وتنامى اتجاهات التطرف الهندوسى والدعوة إلى القومية الهندوسية من جانب آخر .

وفى باكستان ربما يكون الوضع السياسى أقرب إلى الإستقرار نوعاً ما بالمقارنة بالوضع السياسى الهندى فى ظل وجود حزبين كبيرين ظلا يتناوبان السلطة فى الخمسة عشرة سنة الأخيره ، وهما حزب الرابطة الإسلامية (مسلم ليج) بزعامة نواز شريف ، وهو يحكم باكستان الآن منذ عام 1996م (للمرة الثانية) وحزب الشعب بزعامة بينظير بوتو زعيمة المعارضة (حكمت باكستان مرتين) ، ويعود هذا الاستقرار النسبى فى السياسة الباكستانية إلى أن باكستان دولة صغيرة مقارنة بالهند وإمكاناتها الاقتصادية محدودة إذ يبلغ عدد سكانها (130 مليون) مقابل (900 مليون) عدد سكان الهند ، وهناك عامل آخر هو أن باكستان تم تأسيسها على أساس الدين ، فمعظم سكانها من المسلمين مع بعض الأقليات المسيحيية والسيخية والهندوسية وتبلغ 3% وليس لها أى أثر يذكر على السياسة الباكستانية ، فى مقابل الأقليات الكبيرة فى الهند ، لذا فإن باكستان تحكم بالشريعة الإسلامية فى كل قوانينها ومع ذلك فإن باكستان مثقلة بإرث سياسى ضخم فى أفغانستان من ناحية ، وكشمير من ناحية أخرى .أضف إلى ذلك وجود فساد سياسى كبير فى كل من باكستان والهند . ومن الناحية الاقتصادية فإن الديون الخارجية الباكستانية التى تصل إلى 30 مليار دولار أثقلت كاهل الاقتصاد

الباكستانى الذى عانى أزمات عديدة لبناء البنية الأساسية عند تكوين الدولة وهذا ما لم تعان منه الهند لأنها ورثت دولة ذات مؤسسات اقتصادية مستقرة منذ أيام الانجليز ، وقد عانت باكستان من جراء حروبها المتعددة مع الهند بداية من التقسيم فى عام 1947 ، ومؤامرة الهند لفصل جناحها الشرقى (بنجلاديش) عنها ، فى حين يمثل اللاجئون الأفغان مشكلة كبيرة لباكستان قضت على ناتج التنمية ، إلى جانب مشكلة كشمير التى تكبد اقتصاد باكستان مبالغ طائلة كل عام .

3- مبررات التفجيرات :

فى ظل مثل هذين السياقين الداخليين كان لابد أن يثور السؤال عن دلالتيهما بالنسبة لاحتمالات التفجيرات ومبرراتها ونتائجها .

كانت هناك مبررات مختلفة ومتنوعة أدت إلى التفجيرات النووية الهندية الباكستانية فى الهند كانت المبررات الداخلية (غير المعلنة) هى رغبة حزب "بهارتيا جاناتا" القومى الهندوسى إطالة عمره فى الحكم ، والتى يعمل لها وفق رؤيته لكيفية تحقيق المصالح الهندية السياسية والاقتصادية ، وهذا العامل الداخلى ربما غاب عن كثير من المحللين السياسيين لأنه ظاهرة قلما تتكرر فى دول أخرى ، إذ ليس لهذا الحزب الهندوسى المتعصب هم غير إطالة عمر حكومته التى لا تواجه أخطار المعارضة من خارج الحزب فحسب ، بل تواجهها من الأحزاب الصغيرة المتحالفة معها مثل حزب "AIDMK" وحزب سامتا وحزب اكالى البنجابى والتى تهدد من آن لآخر بالانسحاب من هذا الائتلاف(17) .

وكما يرى الدكتور ظفر الإسلام خان أن الحكومة قد سولت لنفسها أن التفجيرات النووية ستقوم بإسكات كل الأصوات الناشزة داخل التحالف الحاكم وخارجه فى وقت كانت الحكومة تواجه فيه الهجمات على كل الجبهات داخل الائتلاف وخارجه لدرجة أنه حين قيل للصحفيين ظهر يوم التفجير "11 مايو" أن يحضروا إلى رئاسة الوزارة للاستماع إلى بيان هام سيلقيه رئيس الوزراء كان بينهم شبه إجماع على أنه سيعلن استقالته ، لأن حكومته جاءت للحكم فى أعقاب الانتخابات النيابية فى شهر فبراير الماضى مضطربة للغاية منذ يومها الأول إذ هى تتآلف من تحالف (23) حزباً سياسياً متنافراً لا يجمع بينها فكر أو فلسفة أو مصلحة مشتركة إلا مشاركة السلطة السياسية والتمتع بثمارها ، والبعض منها قد دخل الائتلاف الوزارى لأسباب سلبية مثل عدائها لحزب المؤتمر الذى هو البديل الآخر فى ظل البرلمان الحالى لو سقطت حكومة حزب الشعب الهندى . وقد ظلت الحكومة الحالية تعانى من ضغوط حلفائها الذين لهم أهداف خاصة بهم مثل الزعيمة الجنوبية (جاى لاليتا) التى تريد إسقاط حكومة ولاية "تامل نادو" بأية طريقة إلى جانب إسقاط التهم الخطيرة الموجهة إليها فى الفساد السياسى إبان حكمها سابقاً لتلك الولاية ، وكان حزب سامتا (الذى ينتمى إليه وزير الدفاع جورج فرنانديز يضغط لإسقاط حكومة ولاية بيها أملاً فى حكم تلك الولاية فى أعقاب إجراء انتخابات جديدة بها) .

وحتى عامة الناس كانوا يتندرون من وضع رئيس الوزراء الذى لم يعد يبتسم وانتشرت الآراء القائلة بأنه لا يتحكم فى حكومتة وأن كل وزير ، وبخاصة منافسه فى الحزب ووزير الداخلية (لال كيشان ادوانى) يتحكم ويفعل ما يشاء فى وزارته بدون علم رئيس الوزراء بل ويفرض عليه السياسات ويواجهه بالأمر الواقع ، وكان كل حزب مشارك فى الائتلاف الحاكم يملى السياسات على رئيس الوزراء كل حسب حجمه فى البرلمان (18) .

وفى هذه الأجواء جاءت التفجيرات النووية ، وكان الافتراض المسبق هو أنها ستكون دعماً قوياً لحكومة حزب الشعب الهندى من عدة نواح :

أولاً : إسكات كل معارضة وتذمر داخل الائتلاف بسبب القوة الجديدة التى سيكسبها الحزب ببروزه كحكومة قوية وقادرة على إجراء تهيبت منه الحكومات الهندية المتعاقبة رغم أن التفجير الهندى الأول كان قد تم قبل 24 سنة (سنة 1974م) .

ثانياً : تقوية موقف الحزب لدى المواطن الهندى العادى الذى ستصله رسالة قوية بأن

الحزب يتمتع بالقوة اللازمة لمواجهة الضغوط الدولية التى تتعرض لها الهند والبلاد النامية ، وخصوصاً فى مجال التسليح ، حيث فرضت الدول الكبرى نوعاً من "التمييز العنصرى النووى" حيث تمنع الآخرين من التمتع بقوة تحتكرها هى ، لذا كان تقدير الحزب أنه لو أجريت الانتخابات النيابية فى الفترة القادمة فسيفوز فيها حزب الشعب الهندى بغالبية فى البرلمان مما يمكنه من تأليف حكومة (مستقلة) وبالتالى تنفيذ سياسته التى تنازل عنها فى الفترة الحالية لإرضاء حلفائه فى الحكومة .

وقد اتضح الآن أن التفجير النووى الهندى لم ينطلق من مصلحة الهند ولا من دوافع أمنها ، بل بسبب حاجة حزب حاكم ضعيف لاستغلال إنجاز علمى سهرت عليه الحكومات المتعاقبة منذ أكثر من ربع قرن ولم يزد دور حزب الشعب الهندى فيه عن الضغط على الزر .

وكانت الغوغائية شديدة للغاية لدرجة ظهور مخاوف قوية من أن الحكومة الهندية فى حالتها النفسية تلك قد تقدم على مغامرة عسكرية ضد باكستان على خطوط وقف النار فى كشمير ، ومثل هذا التطور سيزيد بالتأكيد من شعبية حزب الشعب الهندى على غرار ما حدث لأنديرا غاندى فى أعقاب التفجير النووى السلمى سنة 1974م ، والهجوم على باكستان الشرقية (بنجلاديش) وصرح (ادوانى) وزير داخلية الهند - الذى يعتبر الحاكم الفعلى للهند الآن - يوم 18 مايو "على باكستان أن تدرك الحقيقة الاستراتيجية الجديدة الآن ..." وكرر فى نفس اليوم : "أن خطوة الهند الحاسمة بالتحول إلى قوة نووية قد أحدثت تغييراً نوعياً فى العلاقات الهندية الباكستانية وخصوصاً فيما يتعلق بكشمير" أما زميله مادان لال خورانا وزير الشئون البرلمانية فكان صريحاً جداً فى استعداء باكستان فقال يوم 19 مايو "إن كانت باكستان ترغب فى الحرب فعليها أن تخبر الهند بالمكان والموعد" وجاء فى احد عناوين العدد الذى تزامن مع التفجيرات من صحيفة المتعصبين ORGANISER (عدد17) : "جاء الوقت لتدجين باكستان"(19) .

كانت هذه مبررات التفجيرات النووية الهندية داخليا ، فماذا عن المبررات الإقليمية والعالمية ؟ بالنسبة للمبررات الهندية الإقليمية فإنها تنحصر فى نقطتين هما:

1- رغبة الهند فى التوازن الاستراتيجى مع الصين ، خاصة أن الصين تمتلك ترسانة أسلحة تهدد الهند بها، وخاصة وإن الهند تشعر بالدونية تجاه الصين التى سبقتها فى هذا المجال إضافة إلى هزيمة الصين للهند فى حرب حدودية محدودة عام 1962 استولت الصين على إثرها على مساحات شاسعة من الحدود الهندية الشرقية والشمالية . إلى جانب أن الهند تتهم الصين دائماً بمساعدة باكستان على تطوير قدرتها النووية ، وساعدت باكستان فى بناء محطة (ششما) لتخصيب وانتاج البلوتونيوم .

2- ردع باكستان جارتها اللدودة حتى لا تطالب بإقليم كشمير الذى يضم أغلبية مسلمة فى ضوء تأكد الهند من أن باكستان تطور إنتاجها للأسلحة النووية ، وقد عزز من هذه الفكرة إطلاق باكستان لصاروخ "غورى" يصل مداه إلى 1500 ك.م ويمكنه حمل رؤوس نووية .

أما المبررات الهندية العالمية فتكمن فى رغبة الهند فى أن تحتل مكانه دولية هامة فى السياسة العالمية ، خاصة بعد انتهاء الحرب الباردة وتفكيك الاتحاد السوفيتى وظهور خمس دول إسلامية يمكن أن تكون بشكل أو بآخر عوناً وسنداً لباكستان ، خاصة وأن الهند تعتبر هذه الأوضاع السياسية الجديدة بعد تغيير خريطة المنطقة غير مواتية ، وخاصة أنها تقع فى محيط اسلامى كبير من الجمهوريات الإسلامية وإيران وباكستان وافغانستان وبنجلاديش وماليزيا حتى اندونيسيا ؛ لذا أرادت بهذه التفجيرات النووية أن تلفت نظر العالم إلى إنها تستحق أن تكون قوة نووية لا تقل عن الصين وروسيا فى آسيا خاصة ، وهى بذلك ترمى إلى مقعد دائم فى مجلس الأمن إلى جانب تحقيق مكاسب سياسية أخرى(20).

وإذا كانت هذه المبررات الهندية تعكس رأى الحكومة فما هى مبررات المعارضة والجماعة الإسلامية ؟

عارضت الأحزاب السياسية المعارضة لحزب "بهارتياجاناتا" هذه التفجيرات ، وعلى رأس المعارضين حزب المؤتمر الوطنى الذى لا يرى فى هذه الخطوة أى نفع يعود على الهند ، بل على العكس سيؤدى إلى اشتعال السباق النووى فى جنوب آسيا ويحث باكستان على تطوير قدراتها النووية - وهذا ما حدث بالفعل - وأن هذا التوقيت ليس فى صالح الهند وإنما فى صالح الأهواء الشخصية للحزب ، فالهند تحتاج إلى التنمية الاقتصادية أكثر منها إلى القنابل وهذا ما جعل الحكومات السابقة تحجم عن إجراء تجارب نووية جديدة بعد تفجير عام 1974م [21] .

أما الجماعة الإسلامية فى الهند فلم تعلق على هذه التفجيرات وعندما سألت أمير الجماعة الإسلامية فى الهند قال : " إننا لا نهتم بالأمور السياسية ، وكل اهتمامنا منصب على الأمور الدينية والتربية الإسلامية والدعوة والتبليغ ولا دخل لنا بالسياسة !!" وقد تعجبت من ذلك لأن الجماعة الإسلامية التى دعت إلى إنشاء باكستان وأميرها الأول الشيخ ابو الأعلى المودودى بدأت دعوتها من الهند .

(ب) أما مبررات باكستان للتفجيرات النووية فتتركز فى الاتجاهات التالية :

1- إقليميا : كان سعى باكستان للتفجيرات النووية هو إيجاد حالة من التوازن الاستراتيجى مع الهند التى سبقتها بإجراء ست تفجيرات نووية الأول فى عام 1974 والباقى فى الفترة 11-13 مايو 1998م والحقيقة أن باكستان انتظرت طويلاً لهذه الفرصة . السانحة(22) لإجراء تجارب نووية دون أن تلقى اللوم من المجتمع الدولى ، حيث تبدو فى هذه الحالة وكأنها تحافظ على التوازن الإقليمي مع الهند التى اضطرتها إلى هذا السباق المحموم الذى ليس لها فيه ناقة ولا جمل ، إلى جانب شعور باكستان بأن برنامجها النووى مستهدف من الهند بل ومن إسرائيل .

2- أما المبررات الداخلية فكانت بالنسبة لباكستان أهم المبررات ، حيث توحدت قوى الشعب مع المعارضة والجماعة الإسلامية والجيش ورجال الدولة والنخبة الثقافية فى المطالبة بالرد الرادع على التفجيرات الهندية النووية ، وأن هذه فرصة ذهبية يجب اغتنامها ولا تدعها باكستان تمر ، وأن أمن واستقرار المنطقة وباكستان خاصة رهن بهذا الرد الذى يجب أن يكون سريعاً وحاسماً ، فى ظل وجود شعور راسخ لدى الحكومة والشعب بأن إسرائيل ربما خططت مع الهند لضرب المنشآت النووية الباكستانية انطلاقاً من الحدود الهندية [23] أضف إلى هذه المبررات بعداً جديداً لم يعهده المحللون للشئون الباكستانية من قبل وهو التأييد الواسع من جانب المعارضة على كافة توجهاتها السياسية (بى نظيربوتو) والدينية (قاضى حسين أحمد) سعياً لإحراج الحكومة وفى هذا السياق فإن زعيمة المعارضة بى نظيربوتو التى قامت أثناء رئاستها للحكومة عام 1989م بتجميد المفاعل النووى بضغوط خارجية ، صرحت فى أكثر من مناسبة بأن على الحكومة إجراء تفجيرات نووية لمضاهاة الهند وألا تخضع للضغوط الدولية ، كما أيد قاضى حسين أحمد أمير الجماعة الإسلامية هذه التفجيرات(24) .

أما الحكومة فقد فضلت أن تدرس عدة خيارات لتخرج برأى موحد يرضى رموز الحكم من ناحية ، والجيش الذى كان متحمساً للرد على التفجيرات لأنها تهدد الأمن القومى.

وهذه الخيارات التى تطرحها الحكومة الباكستانية كانت تنحصر فى إجراء سريع لاختبار نووى ، والتريث لاختبار إمكان الحلول الأخرى التى قد تشمل إجراء تجارب مختبرية تؤكد لباكستان إمكانية نجاح اختبارها النووى دون تعريض نفسها لخطر العقوبات الدولية التى قد لا تقوى على مواجهاتها مقارنه بالهند . إلى جانب هذا فإن المجال مفتوح أمام احتمال تدخل عسكرى إسرائيلى خاطف يدمر المنشآت النووية الباكستانية على غرار تدمير المفاعل النووى العراقى عام 1981م على يد إسرائيل وخاصة أن التقارير الدفاعية الباكستانية لم تستبعد أن يكون واحداً على الأقل من التفجيرات الخمسة التى أجرتها الهند خاصاً بالكيان الصهيونى وتم إجراؤه فى الهند لسعة أرضها ولتجنيب إسرائيل الضغوط الدولية (25)

وقد أكد كبار العسكريين وعلى رأسهم الجنرال جهانكيركرامت قائد أركان الجيش الحالى والجنرال ميرزا اسلم بيج قائد الجيش السابق على ضرورة الإقدام سريعاً على التفجيرات النووية الباكستانية ، فجاءت بالفعل أسرع مما كان يتوقع العالم، وتمت فى نفس الشهر بعد أسبوعين من التفجيرات الهندية فى يومى 28-30 مايو 1998م .

3- المبررات العالمية : وكان على رأسها شعور باكستان بازدواجية المعايير والإمبريالية النووية ضد امتلاك دولة إسلامية للسلاح النووى ، وبرز هذا الشعور وتكون لدى باكستان نتيجة للرد الذى اتسم بالفتور من جانب البيان الذى أصدره قادة الدول الثمانية الصناعية المنعقد فى برمنجهام البريطانية وانتقدته باكستان واعتبرته رداً غير كافٍ على التجارب النووية الهندية ، وقال متحدث باسم الخارجية الباكستانية إن إسلام آباد تتعجب من أن البيان لا يدعو إلى فرض مقاطعة جماعية على الهند ، كما لا يشير إلى التهديد الذى يشكله السلاح النووى الهندى على أمن باكستان والعالم ، وكان وزير خارجية باكستان جوهرأيوب خان قد قال : "إن المقاطعة التى فرضت على الهند حتى الآن ليست بالمستوى المطلوب"(26).

وفيما عدا إجراءات كل من الولايات المتحدة واليابان فإن ردود الأفعال الدولية الأخرى اكتفت بإعلان التأييد الضمنى والاستنكار الشفوى ، ويعكس هذا الفتور الملحوظ فى توجيه إجراءات رادعة نوعاً من التواطؤ الدولى من جانب النادى النووى لصالح الهند .

وتكون فى عقيدة باكستان أن هذا لايعنى بالطبع أن خطوة باكستانية ربما تواجه بالموقف نفسه .

وكان من الطبيعى أن تؤدى هذه التفجيرات النووية الهندية الباكستانية لردود فعل داخلية على مستوى المعارضة والشعب والجماعة الإسلامية فى الهند وباكستان، مع اختلاف النمط الداخلى للتركيبة العرقية فى الهند عنه فى باكستان.

بادئ ذى بدء يمكننا القول بأن التفجيرات النووية الهندية أحدثت شرخاً كبيراً فى التركيبة السسيولوجية للشعب الهندى ، وتم "تفتيت" الرأى العام بينما قامت التفجيرات النووية الباكستانية بتوحيد الرأى العام فى تظاهرة فريدة من نوعها لم تحدث من قبل فى المجتمع الباكستانى .

فى الهند خرج أنصار حزب "بهارتياجاناتا" الهندوسى المتعصب إلى الشوارع مبتهجين بطريقة عفوية ، رغم الحالة الإقتصادية التى يعانون منها ، وقد لفتت هذه الظاهرة نظر المحللين والمراقبين فكيف يمكن لمثل هؤلاء المواطنين الذين يعانون من مشكلات البطالة والفقر والجوع أن يؤيدوا هذه التفجيرات النووية رغم ما تستنزفه من أموال يمكن أن توظف فى التنمية وتحسين مستوى المعيشة (27)

أما المعارضة فقد اعترضت منذ اليوم الأول للتفجير ، ودعا أنصارها وعلى رأسهم حزب المؤتمر الوطنى بقيادة سونيا غاندى إلى التوقف عن السباق النووى وتوجيه جهود الحكومة إلى المشروعات التنموية التى تعود عوائدها على الفرد ، فالشعب فى حاجة إلى "رغيف" لا "قنبلة" وحذرت سونيا غاندى حكومة الحزب الهندوسى المتعصب "بهارتياجاناتا" من مغبة الخيار النووى الذى يمكن أن ينقلب إلى كارثة لا يُعرف مداها . وعارض كذلك التفجيرات النووية جميع الحركات الانفصالية فى الهند وعلى رأسهم المسلمون فى كشمير والبوذيون فى آسانم و "التاميل" فى تاميل نادو شرق الهند والسيخ فى البنجاب والناجا فى اقليم ناجالاند ، كما انقسم الحزب نفسه بين مؤيد ومعارض وحدثت انقسامات خطيرة فى مجلس الشعب الهندى "لوج سبها" قد تؤدى مستقبلاً إلى تفتيت الهند على غرار الاتحاد السوفيتى . أما الجماعة الإسلامية والاقلية الإسلامية الكبيرة فى الهند (تصل إلى 200 مليون) فقد عارضت السباق النووى، ورأت أنه من الأفضل أن توجه هذه النفقات إلى التعليم أولاً ، إلى جانب أن كثيراً من المسلمين "تعاطفوا" مع هذه التفجيرات من حيث إنها موجهة إلى الصين ، ومن حيث كونها ستعزز من الوضع الإقليمي والعالمى

للهند فى السياسة الدولية ، وأبدوا سعادة غامرة لوجود البروفيسير عبد الكلام - وهو مسلم- على رأس المسئولين عن البرنامج النووى الهندى ، وهذا أعطاهم نوعاً من الثقة بأنهم هم الذين ساهموا فى هذه التفجيرات من خلال الدكتور عبد الكلام (28) .

لكن سرعان ما تبخرت كل هذه الأوهام فى الشارع الهندى فى لحظات حين أذيع خبر قيام باكستان بالتفجير النووى ، فأسقط فى أيدى المتعصبين ، واختفت الابتسامات وسكتت الألسن ، وحلت حالة من الإحباط وخرجت الصحف تطالب الحكومة بالتعقل وعدم الدخول فى سباق تسلح مع باكستان وأكدت عناوينها مشاعر الارتباك التى أصابت الشارع الهندى بعد النجاح الباكستانى ، وتغيرت لهجة الخطاب السياسى لدى رئيس الوزراء باجباى ، ووزير الداخلية ادوانى ، ووزير الدفاع جورج فرناندس وصارت أكثر اعتدالاً ، وحث رئيس الوزراء الهندى باكستان على ألا تجرى مزيداً من التجارب النووية(29) .

وعكست آراء رجل الشارع الهندى إحباطه المتناقض تماماً مع شعوره بالفخر قبل التجارب الباكستانية ، حيث قال تاجر أقمشة فى سوق سروجنى نجر "إن القنابل لا تطعم البطون الخاوية" ، فى حين أكد أحد موظفى البنوك "أن التجارب الباكستانية جرت شبه القارة الهندية إلى سباق تسلح لاطائل منه" ، وبدأ الشعب والمعارضون يرددون علناً أن الحكومة الحالية هى التى دفعت المنطقة إلى سباق التسلح . وهكذا خابت آمال الحزب الهندوسى المتعصب على المستوى المحلى، وهكذا جاءت الرياح بما لا تشتهى السفن ، وحدث تفتيت "وتصدع" فى الجبهة الهندية الداخلية .

لاحظ المراقبون أن لهجة الخطاب السياسى للهند بعد اجرائها التفجيرات كانت أكثر حدة وعدوانية تجاه الجيران فبالنسبة للصين ، أعلن جورج فرناندز وزير الدفاع الهندى فى تصريح يفتقد إلى الحنكة السياسية والخبرة العملية ، حيث أعلن دون مواربة أو دبلوماسية أن "الصين لازالت هى العدو رقم واحد للهند" ويفهم المحللون السياسيون من هذا أن عقدة الصين لازالت تلح على الذاكرة الهندية منذ هزيمة الهند على يد الصين فى عام 1962واحتلال الصين لمناطق واسعة فى شرق الهند وكان هذا الانكسار من الدوافع التى حدت بالهند إلى التوجه إلى الخيار النووى حتى تحدث نوعاً من التوازن الاستراتيجى الإقليمي مع الصين .

وعلى صعيد ردود الفعل الداخلية فى باكستان بعد التفجيرات النووية الباكستانية كما رأيت بنفسى فكانت خليطاً من البهجة والسعادة والشعور بالفخر ، وخرج الشعب عن بكرة أبيه إلى الشوارع والميادين لكى يعبر عن فرحته ، وامتلأت المساجد بالمصلين الباكستانيين الذين أدوا صلاة الشكر لله ، وذلك على اختلاف مذاهبهم وتوجهاتهم السياسية ، وأعلن الجميع استعدادهم لتحمل برنامج التقشف الاقتصادى واعتمادهم على أنفسهم ، وترددت مقولة ذو الفقار على بوتو رئيس وزراء باكستان الأسبق وهى "نأكل العشب ولكننا مصممين على تطوير برنامجنا النووى" وقال لى أحد عمال الفنادق فى مدينة لاهور الباكستانية" إننا نشعر بالفخر لأننا أول دولة إسلامية نالت شرف الحصول على القوة النووية رغم ما نعانيه من تعثر اقتصادنا ومن مشاكل الفقر ، فى حين لم تستطع الدول الإسلامية الغنية الحصول على القوة النووية" فى إشارة واضحة التورية إلى دول الخليج والسعودية.

فى حين عبر لى أحد سائقى السيارات عن فرحته من زاوية أخرى تستحق الانتباه وهى قوله : "إننا نملك حريتنا السياسية ولا أحد يملى علينا سياسته" فى إشارة إلى عدم الاستجابة للضغوط الهائلة التى تمت من الدول الغربية وأمريكا ، وتراوحت بين الترغيب والترهيب .

نعم لقد كان للضغوط الشعبية تأثيرها الواضح على قرار حكومة نواز شريف التى نقول إنها قبلت التفجيرات النووية مضطرة حتى لا تفقد كرسى الحكم ، وبعد أن أدرك أهل الحكم أن هذه الشعبية التى يحظى بها الخيار النووى محلياً تحول دون قدرة أية حكومة منتخبة على إيقافه حيث يعد ثروة وطنية رادعة فى مواجهة الهند التى سبقت باكستان إلى هذا السباق النووى

وفى استفتاء للرأى نشر مؤخراً ، أعرب 85% ممن استطلعت آراؤهم بأن على باكستان ألا تتخلى عن مشروعها النووى حتى وإن تكفلت الدول الكبرى بضمانات دفاعية واقتصادية مقابل ذلك.

وهذه الظاهرة الشعبية وما تثيره من أسئلة تعد مصدر حيرة ودهشة لأنها فاقت التوقعات ، وكانت ضد ما اعتقده علماء الاجتماع ، وترجع الفرحة الشعبية إلى إدراك الباكستانيين الواعى وغير الواعى لطبيعة الهيمنة الأمريكية والغربية خاصة على دول العالم الثالث ، واتسامها بالانحياز والازدواجية . ويدرك الشعب أن امتلاك القوة النووية هو أحد مصادر الحصول على مكانة عالمية أو إقليمية على أقل تقدير .

وبالنسبة لرد فعل المعارضة الرسمية التى تقودها بينظير بوتو رئيسة حزب الشعب الباكستانى ، فقد اتسمت بالمسئولية فى هذا الموقف فنسيت كل الخلافات السياسية وأيدت بشدة إجراء هذه التجارب النووية رغم ما نسبته الحكومة لها ولزوجها آصف ذر دارى بالفساد السياسى(30) .

وكان علماء باكستان وعلى رأسهم الدكتور عبد القديرخان أشد الناس سعادة لأن جهودهم كللت بالنجاح بعد رحلة عذاب وعمل متواصل دام قرابة عشرين عاماً وذكر فى أول حديث له بعد التجارب الخمس "أن باكستان لديها القدرة النووية منذ عام 1984م ، وأنه تم استخدام اليورانيوم المخصب فى صنع القنابل مما أعطاها تفوقاً على التجارب الهندية الخمس لأنها اعتمدت على البلوتونيوم الناجم عن الوقود المستهلك ، وهى طريقة تقنية قديمة ثم قال : أننا يمكننا تجربة قنبلة هيدروجينية أشد قوة لكن إذا سمح المناخ السياسى بذلك واتخذت الحكومة مثل هذا القرار ، وإن الإدانات والعقوبات الدولية لن تؤثر على البرنامج النووى الباكستانى ، لأننا نعتمد على أنفسنا فى كل شئ ، وأن التجارب النووية الهندية أجبرت باكستان على إظهار قوتها النووية ، وأعرب عن فخره بأن الاستعدادات لإجراء التجارب الباكستانية استغرقت 16 يوماً فقط ، بينما احتاج العلماء الهنود إلى أكثر من شهر لإجراء تفجيراتهم (31) .

وأعرب قادة الجيش الباكستانى السابقين مثل : الجنرال حميد جل والجنرال ميرزا اسلم بيج ، والحاليين وعلى رأسهم الجنرال كرامت عن سعادتهم لهذه التفجيرات التى تعيد توازنات القوى فى المنطقة وأن الجيش الباكستانى مستعد لرد الصاع صاعين لو حاولت الهند ضرب باكستان أو البرنامج النووى فيها .

أما الجماعة الإسلامية فى باكستان- وتتمتع بقاعده شعبية وثقل سياسى كبير- وعلى رأسها أمير الجماعة قاضى حسين أحمد فقد هنأت الشعب الباكستانى والحكومة وقادة القوات المسلحة وعلماء البرنامج النووى ، وجميع أفراد الأمة الإسلامية على قيام باكستان بالتجارب النووية الرادعة للنوايا الهندية التوسعية ، وقال "إن هذه التجارب سوف تعيد للمنطقة توازنها العسكرى ، وتمنح الدول غير النووية فى المنطقة ثقتها وتصونها من خطر العدوان الهندى ، كما تبعث فى حركة التحرير فى كشمير روحاً جديدة للمقاومة والصمود ، لقد اتخذت الحكومة الباكستانية خطوة شجاعة ، واختارت طريق الحرية والاستقلالية والعزة ، ورفعت بذلك رأس باكستان فى العالم الإسلامى فخراً واعتزازاً وأن الجماعة الإسلامية تقف مع الحكومة فى خطوتها هذه موقفاً قوياً ، وسوف نواجه سويا كل الضغوط الخارجية المتوقعة ، فالشعب قد يتحمل بعض المشاكل والضغوط بسبب القيام بالتفجير النووى ولكن هذه الضغوط لن تستمر بإذن الله ، وأن محصلة النتائج المترتبة على التفجير سوف تعود على باكستان والأمة الإسلامية بالخير، فالتفوق فى المجال النووى يستدعى من الشعب الباكستانى أن يكون على مستوى المسئولية، ويلتزم بمعانى الأمانة والجهد المستمر بدل العيش فى الترف والرفاهية"(32) .

ثانياً : الآثار الإقليمية والعالمية المترتبة على قيام الهند وباكستان بالتفجيرات النووية :

1- لاشك أن أبرز الأحداث الآن على الساحتين الإقليمية والعالمية تتمثل فى التفاعلات المتصلة بتفجير الهند لخمس قنابل نووية وقيام

باكستان برد مماثل ، وبذلك اتسع النادى النووى العالمى بدخول دولتين من دول العتبة النووية هما الهند وباكستان وربما يتسع أكثر بدخول دول أخرى مثل كوريا الشمالية وإيران ، لذا قامت الدول الخمس دائمة العضوية فى مجلس الأمن بالتنديد بهذه التفجيرات التى ستفتح الباب على مصراعيه للسباق النووى المحموم فى جنوب وشرق آسيا .

فمنذ اكتشاف السلاح النووى وحتى الآن تم استعماله مرة واحدة من قبل الولايات المتحدة الأمريكية ضد دولة أسيوية هى اليابان عندما ألقت امريكا قنبلتين نوويتين على مدينتى هيروشيما وناجازاكى فى الحرب العالمية الثانية ، ومع ذلك فإن الولايات المتحدة الأمريكية والعالم الغربى يثيران هذه الأيام المخاوف من مجرد امتلاك القنبلة من قبل دولتين من دول العالم الثالث ، حيث بدأت الهند تفجيراتها ثم تلتها باكستان بالرغم من كل التحذيرات العالمية .

أما التخوف العالمى من امتلاك الهند وباكستان للقنبلة النووية فله ما يبرره ، فهذه المنطقة شهدت أحداثاً وصراعات وحروباً ، وكان التوتر سائداً فى العلاقات بين البلدين ولا يزال قائماً ، لأن خطر استعمال الأسلحة الذرية أصبح ماثلاً فى بلدان تعانى من أزمات داخلية وصراعات فيما بينها .

ولابد أن نلاحظ أن جزءاً من المخاوف الأمريكية بشكل خاص والدول الغربية بشكل من الأشكال ينصب على القلق من القرب الجغرافى لكل من باكستان والهند من منطقه الخليج العربى ، وإذا علمنا أن الملايين من أبناء الهند وباكستان يعيشون فى دول الخليج العربى بالإضافة للتبادل التجارى نجد أن القلق الغربى مشروع ، ذلك أن منطقة الخليج واحدة من البؤر الساخنة فى العالم منذ اكتشاف النفط ، وهى موضع صراع خاصة فى ظل الانتشار العسكرى الغربى اسماً والأمريكي فعلاً ، وإذا ما أضيف لكل من الهند وباكستان احتمالات حصول إيران على أسلحه نووية سواء بمساعدة مباشرة من باكستان ، أوما يتردد من أن روسيا والصين مستمرتان فى منح إيران إمكانيات تقنية خاصة بتصنيع القنبلة النووية - وهذا احتمال لم يعد بعيداً خاصة إذا علمنا أن إيران تمثل من حيث الامكانيات الحالية قوة مادية تتفوق على الهند وباكستان ، وأن فترة الاستقرار الحالية بالرغم من انخفاض أسعار النفط تمكنها من تأمين الوفر المادى اللازم للسعى فى امتلاك السلاح النووى ، وفى هذا السياق فإن الخليج أصبح محاطاً بالسلاح النووى .

ومع ذلك يبقى للعملة وجهاً آخراً ، وهو إمكانيات التوظيف الأمريكي لهذا الوضع فى مواجهة الصين ، إننا نفترض اليوم أن العالم تسوده قوة واحدة هى التى تقود النظام العالمى الجديد وهى أمريكا ، وهذه القوة المهيمنة على العالم تدرك أنه فى المدى المنظور لا يوجد من يدعى أنه يريد أن يكون القطب الثانى فى المعادلة الدولية إلا أن هذا لا ينفى بروز الصين كقوة كبيرة وقد يكون حجمها المالى وتوازنها السياسى وتأثيرها الدولى يفوق الاتحاد السوفيتى عندما كان يمثل إلى ما قبل التسعينات القوة الكبرى الثانية فى العالم ، ولكن الدور الذى تتطلع له الصين على المدى البعيد لن تضطلع به بسهولة ، ما دامت اليابان تشكل قوة اقتصادية كبيرة وترتبط بأوثق العلاقات مع الولايات المتحدة الأمريكية ، بل هى جزء من الإستراتيجية الأمريكية العالمية ، ويشكل بروز الهند وباكستان كقوة نووية حالة تناقضات متشابكة ، وخطراً يمكن للولايات المتحدة الأمريكية استغلاله وتوجيهه بما يقلق الصين وربما العالم معها .

بعبارة أخرى يعد التفجير الهندى ورقة تساعد فى عملية إعادة تشكيل التوازنات فى آسيا على نحو يخدم المصالح الأمريكية.

إن امتلاك إسرائيل للسلاح النووى وانفرادها به فى منطقة الشرق الأوسط قد يستغل إعلامياً فى إرهاب دول المنطقة باعتبار أن إسرائيل تمتلك حوالى مائتى قنبلة ذرية موجهة للمدن العربية ، وحيازة الهند وباكستان للسلاح النووى يفتح المجال أمام إيران وغيرها لامتلاك السلاح النووى، ولهذا نجد أن إسرائيل قد ساعدت الهند سراً فى تطوير برنامجها النووى لأنها ترى فى باكستان تراكماً

استراتيجياً نوعياً مهماً فى معادلة التوازن، ورغم هذا ومهما يكن حجم العداء المستحكم بين الهند وباكستان التناقضات بين البلدين إلا أن ما حدث يعنى توازن الرعب أكثر منه اللجوء إلى استعمال الأسلحة النووية (33) .

وعلى ضوء هذه الحسابات المتداخلة لتوازنات القوى الإقليمية فى ظل آثار التفجيرات الهندية والباكستانية ، جاءت ردود فعل القوى الكبرى وخاصة الولايات المتحدة تثير التساؤل حول مصداقية الرغبة فى عقاب كل من الدولتين على تحدى قيود النظام الدولى لمنع الانتشار النووى .

2- رؤية كل طرف لطبيعة رد فعل القوى الكبرى ومدى فاعليتها .

أقبلت الهند على اجراء تفجيراتها النووية وهى تعلم مسبقاً بوجود قوى دولية سوف تقف بجوارها فى هذا الإقدام ، أو على الأقل لن تدينها فى مجلس الأمن أو فى الأمم المتحدة وهذه الدول هى روسيا وبريطانيا وكندا إلى جانب إسرائيل التى ذكر كثير من المراقبين أن هناك تعاوناً

وثيقاً فى المجال النووى بينها وبين الهند ، هذا التعاون أتاح لهما العمل على تنمية قدراتهما النووية وذلك بمباركة أمريكية ، فأمريكا ترى أن من صالحها ظهور قوة أسيوية تستطيع أن تقف فى وجه القوة المتنامية للصين فى غياب قوة روسيا ، لأن الصين تحاول أن تقوم بالدور الذى كانت تقوم به روسيا فى آسيا قبل تفتت الاتحاد السوفيتى ، أما إسرائيل فقد اتفقت مع الهند على مساندتها دولياً عن طريق أمريكا مقابل إجراء تجربتين نوويتين على الأراضى الهندية بعيداً عن صراع الشرق الأوسط من ناحية ، ولضيق مساحة إسرائيل من ناحية أخرى .

وقد أكدت صحيفة "ينشن" الباكستانية أن مكونات التجربتين النوويتين قد تم نقلها إلى الهند على متن طائرة عسكرية إسرائيلية من طراز 130 هبطت فى الهند قبل أسبوعين من اجراء تلك التجارب ، وأكدت الصحيفة بناء على معلومات قوية أن التفجيرين تم تنفيذهما بواسطة رؤوس نووية اسرائيلية ، وأن الهند شاركت فى معلومات التفجير النووى مقابل السماح لها بإجراء تفجيرين نووين حتى تتفادى الانتقادات الدولية(34) . .

وبالفعل فقد غضت أمريكا الطرف عن الهند رغم عدة تصريحات أدانت وزارة الخارجية فيها إقدام الهند على التفجيرات لأن أمريكا لن تستطيع أن تفرض عقوبات رادعة وشديدة على الهند فهى دولة كبيرة ولن تتأثر بهذه العقوبات كالعراق وليبيا وكانت الدول الثمانية الكبرى قد دب بينهم خلافات كبيرة فيما يتعلق بفرض عقوبات على الهند . وبالنسبة للهند فإنه من جانبها لن تتأثر بفرض هذه العقوبات (35) - لو تم فرضها - لأنها بلد كبير يعتمد اعتماداً كبيراً على الناتج المحلى فى الزراعة والصناعة ، ولن تتأثر على المدى القريب أو البعيد . ومن يتصور أن العقوبات على الطريقة الأمريكية ستودى إلى إذعان الهند فهو خاطئ ، فالعقوبات ستزيدها عناداً وتصميماً وهذا ما جعل الدول الثمانية الكبرى فى برمنجهام لا تفرض عليها عقوبات جماعية .

وعلى العكس تماماً فإن باكستان تعرضت لضغوط شديدة ، وتلويح بالعقوبات الاقتصادية من دول عديدة ، حتى قبل هذه التفجيرات ، وعندما أجرت باكستان تجاربها النووية انتقدتها أمريكا بشدة ، وهذا ما كانت تخشاه باكستان ، وترددت بسببه القيادة السياسية فى أخذ قرار التفجير النووى ، فرد الفعل العالمى كان سريعاً وقوياً ، حيث علقت اليابان مساعدتها لها ، وسحبت استراليا سفيرها ، وجمدت العلاقات العسكرية معها واستدعت بريطانيا سفيرها لتقويم الموقف وجمد صندوق النقد الدولى خططه لتقديم قروض لباكستان كما ، أعاد البنك الدولى النظر فى القرض الذى كان يعتزم تقديمه لباكستان ، والحقيقة أن باكستان كانت تعلم أن اقتصادها الضعيف إلى جانب ديونها الخارجية التى تصل إلى 30 مليار وخدمة هذا الدين تلتهم جهود التنمية ، خاصة وهى دولة صغيرة بالمقارنة بالهند ، ومواردها محدودة ولن تقوى على تحمل هذه العقوبات على المستوى القريب والبعيد ولكن إصرار الشعب وضغطه الهائل على الحكومة جعلها تقدم على هذه الخطوة وهى

مضطرة لمواجهة هذا الضغط الشعبى المتزايد ، لذا أعلنت حالة الطوارئ ، وجمدت الأرصدة بالعملات الأجنبية ، واستعد الشعب للسنوات العجاف ، وقد سعى أهل الحكم فى باكستان للحصول على مساعدات عاجلة من الدول العربية وهذا ما تم بالفعل ، حيث قدمت كل من السعودية والكويت ودول الخليج مساعدات عاجلة ، وقروضاً حتى لا ينهار الاقتصاد الباكستانى [36] .

إلا أن هناك عوامل جديدة أدت إلى ظهور مخاوف فى الغرب من أن تلجأ باكستان إلى بيع أسرار نووية أو حتى أسلحة نووية لحاجتها الماسة إلى المال إلى دول تنقصها هذه الأسرار النووية ولديها مال وفير ، وواضح هنا التورية تشير إلى أن إيران مؤهلة إلى هذا الدور ، فبدأت تصدر أصوات جديدة بتخفيف العقوبات الاقتصادية على باكستان والهند على ألا يعودا إلى التفجيرات مرة أخرى ، وعلى اعتبار أن التفجيرات تمت بالفعل ، وبدأت كثير من الدول مثل فرنسا وبريطانيا يخفف من العقوبات المفروضة على باكستان [37] .

3- لكن ماذا بعد التفجيرات بالنسبة للعلاقات الهندية الباكستانية :

وهل ستدفعهما الظروف الجديدة إلى إبرام اتفاق حول كشمير أم العكس ؟ وهل سيتفقان على وقف التجارب النووية مستقبلاً أم سيستمران فى هذا السباق المحموم ؟

اتسمت لهجة الخطاب السياسى فى تصريحات المسئولين الهنود بالتحدى والعنجهية والاستعلاء على باكستان وتكلموا بلغة القوة ، وقد كان من السهل على المراقبين أن يرصدوا هذه الحدة فى أحاديثهم ، فقد أعلن وزير داخلية الهند أدوانى أنه "يجب على باكستان أن تكف عن سياستها المناهضة للهند خاصة فى مسألة كشمير، وإلا سوف تتخذ حكومتنا معها موقفاً حازماً" وقال كرشنا شرما المتحدث الرسمى باسم حزب"بهارتيا جاناتا": "لقد حان الوقت لاتخاذ موقف قوى من باكستان التى تدرب المرتزقة وترسلهم إلى جامو وكشمير لإشعال نار الفتنة كما أنها تطلق النار على جنودنا على الحدود معها" (38) وقال لال خودانا وزير الشئون البرلمانية : "نقول للباكستان كفى ما حدث ولن نستطيع أن نتحمل منها بعد الآن أى تدخل فى شئون كشمير" وهناك فى حزب الشعب الهندوسى المتعصب أجنحة قوية تريد إنهاء مشكلة كشمير عن طريق توجيه ضربة قوية لباكستان ، وعلى رأس هؤلاء منوهارجوشى إلى جانب أن برنامج الحزب يضع فى أولوياته إلغاء الوضع الدستورى الخاص بإقليم كشمير [39]

والحقيقة أن كشمير المتنازع عليها منذ أكثر من خمسين عاماً هى جوهر النزاع بين الهند وباكستان ، فثلثها تقريباً مع باكستان وثلثاها مع الهند ، وكشمير يسكنها أغلبية مسلمة ، وكان الاتفاق عند التقسيم أن كل الولايات ذات الأغلبية المسلمة تنضم إلى باكستان ، إلا أن الهند ترفض هذا الاقتراح ونشبت بينهما حربان راح ضحيتهما ما يقرب من 30 ألف قتيل من الجانبين ، وترفض الهند أى وساطة دولية بينها وبين باكستان على اعتبار إنها مسألة داخلية بين الهند وباكستان . لذا نلاحظ اللهجة العدائية فى تصريحات الحكومة الهندية بعد التفجيرات .

لكن سرعان ما تبدلت لهجة الخطاب السياسى الهندى فصارت أكثر اعتدالاً بعد أن أسكتتهم التفجيرات الباكستانية ، وأصبحوا لا يلوون على شىء ، وأسقط فى أيديهم ولم تدم فرحتهم أكثر من أسبوعين ، ورأينا أتل بيهارى باجباى يتحدث - مرغماً - وهو يضع نصب عينيه التوازن الاستراتيجى الذى حققته باكستان - عن الجوار ، وأن باكستان جارة للهند ، ويجب أن نحسن العلاقات معها ، وذكر فى أكثر من حديث صحفى أو مقابله صحفية [40] استعداد نيودلهى للجلوس إلى مائدة إسلام آباد لكى يناقشوا المسائل العالقة بين الطرفين وعلى رأسها مسألة كشمير ، وتم اللقاء بين نواز شريف وباجباى فى كولومبو ولم ينجحا فى حل أى من المسائل العالقة بينهما .

ورداً على تصريحات قادة حزب بهارتياجاناتا حذرت الخارجية الباكستانية من أن أى مغامرة تقوم بها الهند ضد باكستان أو كشمير الحرة ستواجه برد سريع وحاسم من قبل باكستان ، وأن الهند ستتلقى ضربة قاصمة من

باكستان فى حال إقدامها على التحرش بباكستان ، وقد أعرب العديد من القادة والمفكرين السياسيين فى باكستان عن قناعتهم بأن المحادثات مع الهند أصبحت فى حكم الميتة ولا أمل فى استئنافها مع حكومة بزعامة حزب بهارتيا جاناتا الهندوسى المتطرف ، وأشارت تعليقات الصحف الباكستانية فى تلك الفترة إلى المخاطر المحدقة بمنطقة جنوب آسيا والخليج من توجهات الهند المستقبلية وتنامى التطرف الهندوسى ، وما يشكله من خطر على كافة دول المنطقة ، وأعلن أيوب خان وزير الخارجية أن بلاده ستعيد النظر فى سياستها الخارجية على ضوء تفوقها النووى" [41] .

وعلى صعيد الجهاد الكشميرى فى كشمير الهندية فقد شعر سكان كشمير بالخوف والهلع من جراء التفجيرات الهندية وأصابهم احباط شديد ، لكن بمجرد أن أجرت باكستان تفجيراتها النووية ابتهج سكان كشمير وخرجوا للشوارع فى سعادة وفرح لأنهم وجدوا فى هذه التفجيرات الأمان !! والردع الكافى للهند ، وأعلن سيد صلاح الدين أمير حزب المجاهدين فى أخطر حديث معه "أن التفجيرات الباكستانية قد منحت الجهاد فى كشمير حياة جديدة واعتقد أنها رسالة إلى المجاهدين وشعب كشمير بأنهم يساندوننا ويقفون بجوارنا ضد قوة الهند الغاشمة" .

ويرى سيد على شاه جيلانى رئيس مؤتمر الحرية" أنه "بسبب مسألة كشمير بدأ الهند وباكستان سباق التسلح إلى أن وصلا إلى السلاح النووى والتى لن تكون نتيجته إلا الدمار الشامل لكلا البلدين ، لهذا فإن مقتضيات العصر تحتم السعى الجاد والحاسم لحل مشكلة كشمير"[42] .

لقد كانت التفجيرات النووية الهندية فى صالح القضية الكشميرية ، حيث أدت إلى تدويلها بعد أن ظلت تعتبر مشكلة ثنائية بين الهند وباكستان منذ عام 1972م طبقاً لمعاهدة شيملا ، لقد ظن أدوانى "أن التفجير النووى الهندى سيحسم الوضع لصالح الهند وسينهى المطالبة الباكستانية بحل المشكلة الكشميرية باعتبارها العائق الوحيد دون قيام علاقات جوار معتادة بين الدولتين" .

ولكنه حدث العكس حيث أيقظت هذه التفجيرات القضية الكشميرية ، وعادت إلى جدول الأعمال الدولى وبيانات الدول الكبرى ، وإلى الأمم المتحدة ، وهى كلها ترى أن هذه القضية لم تحل بعد ، وأنها هى التى يمكن أن تقود الهند وباكستان إلى الحرب وبالتالى يجب حلها ، وتبذل الهند جهوداً مكثفة لتحول دون تدويل القضية الكشميرية، وقد رفضت استقبال وفد للأمم المتحدة أرسله أمينها العام لتقصى الحقائق ومحاولة بذل جهود دولية لحلها ، كما رفضت الهند عدة عروض للوساطة بينها وبين باكستان .

وقد طلب مجلس الامن من الهند وباكستان إبداء أكبر قدر ممكن من الاعتدال ، والبدء بمباحثات ثنائية فى محاولة لحل خلافهما بشأن الأمن الأقليمى وخصوصاً مسألة كشمير . فى حين ذكر اتل بيهارى باجباى " أن النزاع بشأن كشمير يجب أن يبقى منفصلا عن المسألة النووية ، ورفض أى وساطة خارجية فى النزاع مع باكستان ، وأكد على رغبة الهند فى إجراء مفاوضات مباشرة مع باكستان" عقب عرض نواز شريف باجراء محادثات تهدف إلى وضع حد لسباق التسلح فى جنوب آسيا ، واعترض باجباى على محاولة القوى الخمس الكبرى الربط بين قضية كشمير والقضية النووية وقال : "لا حاجة لأن يُدخل أحد جامو وكشمير فى هذه المسألة" وأضاف "أولئك الذين يريدون التوسط فى قضية كشمير نشكرهم"(44) وكان وزراء خارجية الدول الخمس دائمة العضوية بمجلس الأمن قالوا فى بيان لهم "إنهم يشجعون الهند وباكستان على أن تجدا سوياً حلولاً مقبولة من خلال الحوار المباشر تعالج بها الأسباب الجذرية للتوتر ومنها كشمير" ، وكذلك حاول وزير الدفاع جورج فرنا نديز البعد بقضية كشمير عن التدويل فقال لو كالة الانباء الهندية "يجب على الولايات المتحدة أن تمتنع عن أى محاولة للتوسط فى المشاكل الثنائية بين الهند وباكستان ، لأن كشمير ليست قضية للتدويل ... إنها قضية تحتاج لتسويتها بشكل ثنائى بين الهند وباكستان من خلال الحوار" .

ويبدو جلياً أن الهند وباكستان يقفان الآن على حافة الطريق نحو مرحلة جديدة من السباق النووى ، ويواكب هذا السباق سباق آخر أكثر خطورة فى مجال الصواريخ الباليستية ، وربما يؤدى هذا التسلح فى النهاية إلى حرب رابعة قد تكون هذه المرة حرباً نووية ، وهذا ما أكده قائد الجيش الباكستانى السابق الجنرال ميرزا اسلم بيج من "أن هناك احتمال حقيقى للحرب ونحن - بحمد الله- مستعدون لها كامل الاستعداد ، جوهر نزاعنا مع الهند لازال حول كشمير ، وهى لازالت نقطة اشتعال لم تفلح الحكومات الهندية المتعاقبة فى نزع فتيلها ، ولا يزال يهدد المنطقة بحرب نووية مدمرة والهند لن تكون فى نزهة إذا اختارت الحرب هذه المرة .

ثالثا : البعد الإسلامى فى هذه القضية : وهل فى التصريحات الرسمية الباكستانية اشارة إلى "إسلامية" هذا الحدث ؟ ولماذا ؟ :

لا أحد يستطيع إنكار أهمية البعد الإسلامى فى قضية التفجيرات النووية الباكستانية ، وهذا بديهى على اعتبار أن باكستان هى أول دولة إسلامية استطاعت أن تمتلك القدرة على صنع القنبلة النووية ، لقد نجحت باكستان فى صنع قنبلة نووية وهو نجاح يحق للشعوب الإسلامية أن تفرح به ، بل وأن تعتبره نجاحاً لها فضلاً عن أنه ليس من المستبعد أن تكون هناك كفاءات وعقول من دول إسلامية أخرى شاركت فى تحقيق هذا النجاج ، كما ساهم فى تحقيق هذا الانجاز دعم مالى من بعض دول العالم الإسلامى وعلى رأسها ليبيا ودول الخليج ، وقد أشار إلى ذلك العديد من المسئولين فى باكستان(46) ، وهذا ما يبرر المساعدات المالية السخية التى دفعت بها السعودية والكويت والامارات إلى الاقتصاد الباكستانى بعد التفجيرات حتى لا ينهار ، لأن قوة باكستان من قوة العالم الإسلامى .

فهذا التقدم التقنى النووى الذى وصلت إليه باكستان سيكون رمزاً لقوة العالم الإسلامى ووحدته -بإذن الله - كما أن التفجيرات النووية الباكستانية ستكون ضماناً لأمن وسلامة العالم الإسلامى وشعوبه ودوله ، ووسيلة عظمى لحل القضايا الإسلامية كقضية فلسطين وقضية كشمير إضافة إلى أنها ضمان للأمن والسلام العالميين ، لأن هذه القضايا المتفجرة ستبقى تهدد السلام والأمن العالميين بالخطر ما لم يتوصل إلى حل عادل لها . لقد أصبحت باكستان تستطيع أن تقول "لا" وتقص أجنحة الاستعمار الهندوسى والصهيونى وتمنعهما من تحقيق أهدافهما ضد العالم الإسلامى بل ومن قيام حرب عالمية ثالثة ، والمشروع النووى الباكستانى هو رمز للدول النامية للتحدى والنضال ضد سيطرة وابتزاز الدول الكبرى . فقوة باكستان النووية من شأنها أن تمنح المسلمين دورهم الطبيعى بين دول العالم ، وتحرك قضاياهم وتخدم مصالحهم [47] .

لكن بعيداً عن هذا السياق الشعبى والجماهيرى الذى يتسم بالميل اكثر إلى العواطف ، فإننا نؤكد على أهمية البعد الإسلامى فى قضية التفجيرات فى الوعى السياسى لدى القيادة الباكستانية فى الماضى والحاضر ، واضعين فى الاعتبار أن باكستان كدولة تم تأسيسها فى المقام الأول بناء على هذا البعد الإسلامى كدولة إسلامية فى مواجهة دولة هندوسية فى الهند ، وكان من الطبيعى بعد التفجيرات النووية الباكستانية أن يبرز من جديد مصطلح "القنبلة الإسلامية" فى التصريحات الغربية والباكستانية على السواء ، وكان هذا المصطلح قد ظهر من قبل عدة مرات وننبه هنا على أن استعمال هذا المصطلح من قبل وسائل الأعلام الغربية ينطوى فى داخله على تخويف وترهيب للعالم من خطر هذه القنبلة التى تمتلكها دولة إسلامية وأصولية هى باكستان ، فى مقابل التقليل من خطورة القنبلة الهندوسية التى تمتلكها الديمقراطية الهندية كما يزعمون ، لكننا إذا تتبعنا هذا المصطلح نجد أن ذا الفقار بوتو رئيس وزراء باكستان الأسبق كان أول من أطلق هذا التعبيرفى باكستان بعد تفجير الهند الأول 1974 ثم جاء ضياء الحق واستخدم المصطلح نفسه(48) مع مزيد منأسلمة الدولة ومحاولته لفرض الشريعة الإسلامية فى باكستان ، وعلى القانون الباكستانى ، ومن هنا بدأت الدوائر السياسية العالمية وعلى رأسها الصهيونية العالمية ، بدق ناقوس الخطر فى

حين أن العالم العربى والإسلامى كان سعيداً بهذا من منطلق أن "القنبلة الإسلامية" تمثل حماية لمسلمى باكستان من التعصب الهندوسى فى ظل النزاع على كشمير ، وهذه القنبلة الإسلامية هى التى أحدثت نوعاً من التوازن مع "القنبلة الهندوسية" .

وفى ظل هذه المصطلحات يجب المبادرة فوراً إلى التنبيه بوجوب عدم الخلط فى هذا الشأن بين أمرين هما : الهوية والحقيقة . صحيح أن هوية باكستان وانتماءها يعطيان قنبلتها مجازاً عند البعض وبالضرورة عند بعض آخر جانباً من هويتها . وبالنسبة إلى العالم الإسلامى- وباكستان نفسها- فإنه ليس هناك ما هو أهم من العقيدة التى تجعل باكستان عضواً فى أسرة المليار مسلم لكن الاعتزاز بهذه الهوية يجب أن يقابلة الإقرار بحقيقة أن هذه القنبلة هى أولاً : باكستانية[49] .

وفى هذا السياق من الضرورى التذكير أن فى الغرب ثمة من يتعمد اطلاق صفة "إسلامية" على القنبلة الباكستانية ، وتكرار ترديد هذا الوصف حتى عندما لا يكون هذا الترديد ضرورياً ، لأن الهدف هو إذكاء مشاعر الخوف من المسلمين والحذر تجاههم ، وبالتالى تبرير أية اجراءات تتخذ ضدهم ، والأرجح أن معظم وسائل الإعلام الغربية قد أخذت تردد هذه النبرة بعد إعلان باكستان عن تفجيراتها النووية ، وهى نبرة راحت تكثر من الترديد بأن "ديمقراطية" الهند وعدم تدخل الجيش فى نظامها السياسى وفى إدارتها كدولة ، يشكلان "ضامنا" يجعل امتلاكها السلاح النووى خطراً يقل عن خطر وجوده لدى باكستان (50) بيد أن هذه النبرة تجنبت حقيقة أن "ديمقراطية" الهند لم تحل دون وصول تيار سياسى متطرف إلى الحكم وهو حزب "بهارتياجاناتا" ، وأن هذا التيار السياسى المتطرف فى هندوسيته له أيضاً أجندته العقائدية ، وأنه هو الذى بادر إلى إخراج مارد السباق النووى فى المنطقة من قمقمه .

لقد أستعمل هنرى كيسنجر وشارون هذا المصطلح من أجل بث الرعب فى العالم من "القنبلة الإسلامية" ، كما أن هانتينجتون ذكر أن نظرية صدام الحضارات تتسم الآن بأنها "صراع الحضارات النووى" فى تورية واضحة المعالم للصراع الحضارى الإسلامى - الهندوسى [51] .

إن امريكا وروسيا وأوربا يخفون فى نفوسهم قدراً مشتركاً من الخوف والرعب من "القنبلة الإسلامية" ، ولا يخافون من "القنبلة الهندوسية" التى فى زعمهم لا تستطيع أن تخرج خارج حدود الهند بينما "القنبلة الإسلامية" لا يستطيع أحد التنبوء بانتشارها فى العالم الإسلامى فى نفس الوقت الذى تلقى فيه خطط أمريكا معارضة قوية بين صفوف الشعوب الإسلامية ، فالقنبلة الإسلامية خطر على العالم بينما لا تمثل القنبلة الهندوسية أى خطر على مصالح العالم فيما عدا الصين وباكستان[52]

وفى سلسلة كتاب التايمز واسعة الانتشار نشر فى أمريكا كتاب "القنبلة الإسلامية" الخطر النووى على اسرائيل والشرق الأوسط"

(The Islamic bomb the nuclear threat to Israel and middle east, New York 1981)

تأليف اليهوديان Herbert & Steve Weiss man ويلعب على وتر المخاطر التى تنتظر الغرب من السماح بوجود القنبلة الإسلامية ، وواضح من هذا الكتاب الأيدى الخفية لليهود فى تحريك هذه المخاوف(53) ، وهنا ظهرت فكرة أكثر خطورة وهى مخاوف الغرب من قيام باكستان ببيع تكنولوجيا نووية للعالم الإسلامى الذى يملك المال الذى تفتقده باكستان ، وبالتالى لو وقعت فى يد العرب هذه التكنولوجيا النووية لن تتردد فى استعمالها للقضاء على الدولة اليهودية، وهذا بالطبع طرح ساذج ، وقد سارعت الحكومة الباكستانية بنفيه والتقليل من شأنه وتناولته الصحف الباكستانية المتخصصة وفى مقالة للصحفى الكبير شاهنواز فاروتى تحت عنوان "القنبلة الباكستانية للبيع!!" أكد على صعوبة هذه الفكرة لأن البرنامج النووى لا يقتصر على وجود قنبلة تمتلكها هذه الدولة أو تلك ، بل يتعلق بمنظومة تقنية بالغة التعقيد والصعوبة تبدأ بمجرد امتلاكها للقنبلة وتتمثل فى كيفية نقلها واطلاقها ولهذا طورت باكستان قدرتها الصاروخية لهذا الغرض ويصل صاروخها الفورى إلى مدى 1500كم .

لكن هل فى التصريحات الرسمية الباكستانية اشارة إلى "إسلامية" هذا الحدث ولماذا ؟

يرى المراقب للتصريحات الرسمية الباكستانية هروباً من أية اشارة إلى "إسلامية" التفجيرات النووية الباكستانية حيث أكد كل من نواز شريف ووزير خارجيته يعقوب خان ، فى بادرة مهمة تدل على حنكة سياسية ، على نفى هذا المصطلح وأعلن كل منهما أن القنبلة لا دين لها ، وإنه ليس صحيحاً أن نقول "قنبلة إسلامية" فى مقابل "هندوسية" ، "يهودية" ، "مسيحية" ، "بوذية" . لكن رغم ذلك فإن "إسلامية" هذا الحدث حقيقة لا يمكن إنكارها ، وهى مسكوت عنها فى الضمير الرسمى الباكستانى الذى أكد أكثر من مرة بعدم الرغبة فى استعداء الغرب لبرنامجهم النووى الوليد ، وفى محاولة لتهدئة الرأى العام العالمى فى مواجهة الإشارة التى وصلت إلى حالة "التغنى" بإسلامية هذه التفجيرات لدى الشعب الباكستانى بكل طوائفه وأحزابه السياسية ، وهذا ما أعلنوا عنه فى المؤتمرات والندوات والمظاهرات التى ظلت تجوب جميع أنحاء باكستان حتى رأيت كثيراً من أهل الحكم فى باكستان يؤكدون على "إسلامية" هذه التفجيرات ولكن فى أحاديث ولقاءات غير رسمية كانت تعقد فى مزرعة رئيس وزراء باكستان نواز شريف وبالقرب من "ريوند" فى لاهور . بل إن هذه "الإسلامية " قد تحدث عنها جميع الخبراء والعسكريين والعلماء ، وهم جزء من المؤسسة الحاكمة ولعل "إسلامية" هذا الحدث هى التى دفعت أبو القنبلة الباكستانية الدكتور عبد القدير خان لأن يصرح بقوله : "إن بلاده قد حققت المعجزة النووية الإسلامية"(55) . وقد أكد سيد صلاح الدين أمير المجاهدين فى كشمير على البعد الإسلامى فى إسلامية هذا الحدث ، وتأثيره على الجهاد الإسلامى فى كشمير وإعطاء المجاهدين حافزاً نفسياً كبيراً كادوا أن يفقدوه بعد التفجيرات النووية الهندية التى يبرز عداءها للبعد الإسلامى بشكل خاص .

إذن لا مفر من نفى "شبهة" إسلامية هذه التفجيرات النووية لأن قادة باكستان يعلمون سلفاً أن رفضهم وتنكرهم لهذه "الإسلامية" لن يعفى الغرب من مظنة وجود هذه "الإسلامية" التى تجرى فيهم مجرى الروح فى الجسد . وهذا ما أكد عليه الجنرال ميرزا اسلم بيج قائد الجيش الباكستانى السابق الذى أكد على أن "البرنامج النووى الباكستانى مشروع تم بأيد باكستانية مسلمة وعانينا الكثير فى سبيل الحصول على هذه التكنولوجيا من أجل خدمة أمننا الوطنى والأمن الإسلامى باعتبارنا جزء لا يتجزأ منه فالعالم الإسلامى أمام مخاطر كبيرة ولابد لهذا العالم الإسلامى من سلاح رادع يوازى سلاح إسرائيل النووى" (56)

2- ردود فعل الدول الإسلامية المحيطة بباكستان (ايران- السعودية - دول الخليج) :

من الواضح أن ثمة تفاعلاً شعبياً كبيراً قد لاحظه المراقبون ، وذلك على مستوى الرجل العادى فى العالم الإسلامى بشكل عام ، وفى الدول الإسلامية المحيطة بباكستان مثل إيران والسعودية ودول الخليج التى أظهرت دعمها أيضاً على المستوى الرسمى ، وتفهمت دوافع قيام باكستان بهذه التفجيرات خاصة أن هذه الدول ترتبط بعلاقات جيدة مع الهند كذلك.

فإيران كانت أولى الدول التى سارعت لتهنئة باكستان أولاً لأنها جارة إسلامية صديقة وهى -أى ايران- تعتبر هذه التفجيرات درعاً للأمة الإسلامية أمام تهديدات اسرائيل .

فى حين بادرت السعودية والكويت بتقديم دعم مالى عاجل إلى باكستان حتى لا ينهار اقتصادها الذى فرض عليه عقوبات جديدة قد لا يتحملها بدون هذه المساعدات المالية .

إلا أنه فى الإطار الإسلامى كان من الواضح أن معظم الدول الإسلامية قد لزمت الصمت حيال التفجيرات النووية الهندية ولم تدنها سوى ماليزيا وايران والسعودية إلى جانب بيان من منظمة المؤتمر الإسلامى عكس فيه وقوف المنظمة بجانب باكستان التى هى عضو فى المنظمة .

وقد أعلن فى هذا السياق الجنرال حميد جل رئيس جهاز المخابرات العسكرية السابق : أن ردود الفعل الإسلامية كانت مخيبة للآمال ، ولم تدرك بعد أن القوة النووية الباكستانية هى قوة للعالم الإسلامى".

3- التعاون النووى الهندى - الاسرائيلى :

لاشك أن هناك تعاوناً وثيقاً بين الهند وإسرائيل ، وأن هذا التعاون أخذ اشكالاً متعددة ، سواء على المستوى السياسى أو الاقتصادى والعسكرى . وأن هذا التعاون بين البلدين جزء من مخطط صهيونى لتطويق الدول العربية عن طريق إقامة أحلاف سياسية أو اقتصادية أو عسكرية من الدول المحيطة بالعالم العربى كان آخرها تركيا ، أما الهند فإن نظرة فاحصة على العلاقات الإسرائيلة الهندية منذ نشأتها عام 1948 توضح مدى التعاون والارتباط بين الكيانين بما لهما من مصالح مشتركة وعدو واحد هو الإسلام والمسلمون ، فالهند قدمت مساعدات عسكرية لليهود كما تلقت مساعدات عسكرية ومن اسرائيل إبان حربها ضد الصين عام 1963 ، ولا يخفى على أحد وجود العديد من المستشارين والخبراء اليهود فى كشمير يساعدون الهند فى قمع حركة الجهاد الإسلامى ، وقد تم كل هذا التعاون فى عهد حزب المؤتمر الوطنى الهندى وقيادته للهند ، وقد دافع نهرو وغيره من زعماء المؤتمر عن العلاقات مع إسرائيل ، كما أن الهند أوضحت فى العديد من المناسبات[57] أن موقفهم المعلن من القضية الفلسطينية ليس إلا من أجل تحييد الدول العربية والإسلامية فى الصراع على كشمير ، وجعل هذه الدول لا تقامر فى اتخاذ موقف ينادى بحق تقرير المصير لشعب كشمير كما تنص عليه قرارات الأمم المتحدة .

وقد أكدت الجبهة المتحدة على العلاقة مع إسرائيل ، وزادت من أواصرها معها ، وتم فتح مكتب عسكرى فى بومباى تحت إدارة الموساد الإسرائيلى ، ويعتبر فوز بهارتياجاناتا ورئاسته للحكومة فى الهند فرصة كبيرة له للتحالف مع حزب الليكود الحاكم فى إسرائيل ، نظراً لما يمثله الحزبان من تطلعات عنصرية متطرفة ضد المسلمين فى شبه القارة الهندية والمنطقة العربية ، حيث يشتركان فى الهدف الواحد وهو ضرورة تفتيت العالم الإسلامى والسيطرة عليه ، لذا فإن احتمالات التقارب الهندى الإسرائيلى قد زادت ، فرئيس الوزراء الجديد اتل بيهارى باجباى معروف بتاريخه السياسى المؤيد لتطوير العلاقات مع إسرائيل ، ويشبهه كثير من المراقبين بأنه نيتانياهو الهند ، وقد جاء هذا التعاون الوثيق من منطلق أن الهند وإسرائيل يواجهان عدواً إسلامياً واحداً ، كما أن لهما مصلحة مشتركة فى عدم توقيع اتفاقية منع الانتشار النووى ، ولهذا فإن إسرائيل تعمل جاهدة للاستفادة من القواعد العسكرية الهندية لضرب البرنامج النووى الباكستانى وهو عرض سبق وأن رفضته حكومات هندية سابقة .

لقد استقدمت الهند خبراء إسرائيليين ليمارسوا فى كشمير ما مارسوه على الشعب المسلم فى فلسطين من قمع وتنكيل وعلى طريقة اسرائيل أقامت الهند مستوطنات هندوسية داخل التجمعات الإسلامية بهدف خلق سياسة الأمر الواقع وفى محاولة لتغيير التركيبة السكانية والأغلبية المسلمة فى كشمير ، وعندما خرج أهل كشمير وأطفالها إلى الشوارع عام 1990 وألقوا بالحجارة على الجنود الهنود فيما يعرف بانتفاضة حجارة كشمير، أطلق عليهم الجنود النيران من مدافع إسرائيلية الصنع .

وفى المجال الاقتصادى هناك تصاعد مستمر فى العلاقات بين الهند واسرائيل وتم عقد اتفاق هام بين البلدين فى 1992 لتوسيع حجم التجارة والتعاون التكنولوجى بينهما .

وفى المجال العسكرى تم افتتاح مكتب للصناعات الجوية الاسرائيلية فى بومباى فى 1993/3/7 بغرض تسويق المنتجات العسكرية الإسرائيلية فى الهند ودول جنوب آسيا ، والمفاوضات مستمرة بشأن تطوير إسرائيل لعدد من الدبابات ت-72 وتزويدها بأنظمة تحكم بالنيران تصلح للدبابه أرجون الهندية الصنع(58) .

وتؤكد دراسات استراتيجية عديدة ، سواء فى أوربا أو فى الهند وباكستان ، على الصلات القوية بين الهند واسرائيل فى مجال التعاون النووى ، حيث ساعدت اسرائيل الهند فى إقامة مفاعلات نووية فى مقابل أن تحصل إسرائيل على المادة الخام اللازمة لمفاعلاتها ، والتى تتوافر لدى الجانب الهندى ، وقد بدأ هذا التعاون النووى بين البلدين عام 1962 ، وتطور هذا التعاون إلى أن وصل إلى درجة كبيرة من

والتنسيق فى عام 1982 عندما استطاعت لجنة الطاقة النووية الباكستانية تصنيع وقود نووى محلياً ، وعقدت مباحثات واسعة عام 1985 بين رئيس وزراء إسرائيل والرئيس الأمريكى ريجان ورئيس وزراء الهند راجيف غاندى حول البرنامج الباكستانى وطرق مواجهته ، وأيدت اسرائيل مساعدة الهند فى قمع الأصولية الإسلامية .

كما ساعدت إسرائيل الهند فى إقامة مفاعل نووى فى (كالباكام) وآخر فى (وثارابوا) فى مقابل الحصول على اليورانيوم ومواد كيمائية أخرى ، ومما يؤكد هذا التعاون المتزايد بين الهند وإسرائيل قيام السلطات السريلانكية بضبط أربع حاويات تحمل 18 طناً من مادة (بنكولنان الفوسفور) ، وهى مادة تستعمل فى صناعة غاز الاعصاب ، وكانت هذه الحاويات قادمة من بومباى ومتجهة إلى إسرائيل كما هو مبين من أوراق الشحن فى أبريل 1997م، وفى نفس الشهر نشرت جريدة "هندستان تايمز" تقريراً يؤكد على أن اسرائيل طلبت من الهند السماح لها باستخدام إحدى القواعد الجوية الهندية القريبة من حدود باكستان لاستخدامها فى ضرب البرنامج النووى الباكستانى مقابل تزويد الهند بتنكولوجيا خاصة بسلاح الجو وتطوير الطائرة (لاخشيا) . وقد ذكرت صحيفه "جنج" الباكستانية واسعة الانتشار تفاصيل الغارة الهندية - الإسرائيلية المشتركة التى كانت إسرائيل تنوى القيام بها قبيل التفجير النووى الباكستانى ، حيث تقوم ست طائرات إسرائيلية تحركت مساء يوم الاربعاء السابع والعشرين من مايو إلى مطار سرينجر عاصمة كشمير الهندية قادمة من نيودلهى -وكانت هذه الخطة أشبه بالخطة التى نفذتها القوات الاسرائيلية عند هجومها على المفاعل النووى العراقى عام 1981- وتعود إلى سرينجر مرة أخرى بعد توجيه ضربة قوية تدمر المنشآت النووية الباكستانية قبل قيامها بإجراء أى تجارب نووية ،وصدرت الأوامر فى العاصمة الباكستانية فى منتصف ليل 10 مايو 1998 باتخاذ كافة إجراءات الاستعداد القصوى ، واطلاق النيران مباشرة على أى طائرة معادية تخترق المجال الجوى الباكستانى ، واستدعت وزارة الخارجية السفير الهندى فى إسلام آباه لإبلاغه رسالة شديدة اللهجة تتضمن استعداد باكستان لاجراء التفجيرات النووية فى نيودلهى بدلاً من صحراء جاغى إذا ما وجهت حكومته أى ضربة لمنشأت باكستان النووية ، وقد ساهمت معرفة باكستان للخطة الهندية الإسرائيلية فى إجهاضها ، فضلاً عن أن باكستان باتت أكثر تصميماً على إجراء تجاربها النووية بسرعة حتى تتفادى أى هجوم محتمل (جنك : 1998/5/10 لاهور) أيضاً : جهاز كشمير - راولندى 30 يونيو 1998 ، ومما يذكر أن رئيس أركان الجيش الهندى (ف . ب مارك) قد قام بزيارة رسمية لإسرائيل فى الفترة ما بين 8-13 مارس 1998 أى بعد فوز حزب بهارتياجاناتا الهندوسى المتطرف وهذه الزيارة رد على زيارة نظيره الإسرائيلى للهند فى مارس 1997 ، وهى زيادة أحدثت ردود فعل عنيفة من جانب باكستان لقيام المسئول الإسرائيلى بتفقد الحدود مع باكستان فى ذلك الوقت (نداء ملت : لاهور: 4-10 يونيو 1998) .

لقد تعددت أشكال التعاون النووى بين إسرائيل والهند ، ومما يلفت النظر فى هذا السياق أن الصحف الهندية كانت سباقة فى نشر خطوات هذا التعاون وأهدافه المعلنة بالطبع هى أن تكون باكستان التى تمثل القوة النووية الإسلامية الوحيدة فى العالم وكانت مصر قد حذرت أكثر مرة من هذا التعاون الهندى الاسرائيلى ، لأنه سوف يجر منطقة الشرق الأوسط إلى صراع طويل متشابك المصالح ، ففى حين تنظر الهند إلى هذا التعاون على أنه فرصة للاقتراب من إسرائيل مما يساعد فى تقريب الفجوة بين اسرائيل والعرب بأن تكون الهند طرفاً مرغوباً من كلا الجانبين الإسرائيلى والفلسطينى ، وهذا ما ترفضه مصر والعرب فضلا عن باكستان التى ترى أن هذا التحالف يهدف فى المقام الأول إلى ضرب الإسلام وباكستان ، وهذا ما أكدته التحقيقات التى أجرتها باكستان مع عدد من الضباط الاسرائيليين الذين تم القبض عليهم فى النزاع حول كشمير ، ومما يذكر أن عدداً كبيراً من

عملاء الموساد يترددون على سرينجر عاصمة كشمير الهندية لتدريب الهنود على قمع المجاهدين فى كشمير وذكرت مجلة "محاز كشمير" نقلاً عن جريدة التايم الهندية قولها فى حوار مع رئيس وزراء اسرائيل الذى صرح قائلاً : "إن اسرائيل والهند يواجهان منذ فترة طويلة جنون الأصولية الإسلامية ، وهذا الأمر سبب من أسباب توترنا" (محاز كشمير إسلام آباد مارس 1998) كما ذكرت نفس المجلة قيام اللوبى اليهودى فى واشنطون بحماية المصالح الهندية وهذا ما يفسر لنا رد الفعل الهادئ حيال قيام الهند بتفجيراتها النووية فى مقابل العنف فى بيان الخارجية الامريكية رداً على التفجيرات الباكستانية .

وفى السياق نفسه ذكرت مجلة "كشمير المسلمة" أن القنبلتين النوويتين اللتين تم تفجيرهما فى المرحلة الثانية من التجارب النووية فى الهند فى 1998/5/13 كانتا قنبلتين إسرائيليتين ولم تكونا هنديتين ، وأنه تم شحنهما بالطيران العسكرى الهندى قبل إجراء التجارب بعدة أيام ، كما قام الخبراء الاسرائيليين فى المجال النووى بالتوجه إلى الهند قبل ذلك لمتابعة التحضيرات الجارية لإجراء التجارب ، وأن الدكتور عبد الكلام مسئول البرنامج النووى الهندى قام بزيارة إلى الكيان الصهيونى خلال نفس الفترة ، ويرى المراقبون أن سبب إجراء التجربتين الاسرائيليتين فى الهند هو عدم "وجود مكان مناسب "لهذه التجارب فى الكيان الصهيونى" (كشمير المسلمة - إسلام آباد يونيو 1998) .

ملاحظات ختامية :

بالنظر إلى الإشكاليات المنهاجية التى انطلقت منها الدراسة المقدمة ، وعلى ضوء التحليل فى الأجزاء الثلاثة للدراسة يمكن أن نتوقف عند مجموعتين أساسيتين من الملاحظات الأولى خاصة بإشكالية القدرات الذاتية فى مواجهة قيود النظام الدولى لمنع الانتشار - والثانية خاصة بالدلالات بالنسبة للتوازنات الإقليمية والداخلية تحت تأثير هذه التفجيرات .

المجموعة الأولى من الملاحظات تندرج فى البندين التالين :

البند الأول : دلالة القدرات الذاتية والاعتماد على الذات ، فلقد نجحت باكستان فى إجراء تفجيراتها النووية فكانت الدولة الإسلامية الأولى التى تنجح فى تطوير هذه التكنولوجيا المتقدمة التى ساعدتها فى دخول النادى الذرى ، فكانت بذلك مثالاً يحتذى فى قوة العزيمة والمثابرة رغم قلة مواردها الاقتصادية ، وبهذا صارت فى طليعة دول العالم الإسلامى ، وكانت هذه الخطوة من جانب باكستان بمثابة درس واضح لدول العالم الإسلامى التى بدأت من قبل العمل على الحصول على القوة ليحقق بها الردع أولاً ثم التنمية ثانياً ، رغم جهود النظام العالمى الجديد فى منع انتشار الاسلحة النووية ، فى حين بدأت الاصوات تعلو فى مصر من جديد بضرورة حصولها على قوة نووية تستطيع أن تتوازن استراتيجياً بها مع اسرائيل على غرار التوازن الاسترتيجى الهندى الباكستانى ، وبدأ من جديد العلماء ورجال الاستراتيجية يتساءلون عن البرنامج المصرى الذى تواكب ظهوره وإرهاصاته الأولى متزامنا مع البرنامج النووى الهندى ، ولعل جميع المراقبين قد لاحظوا كذلك تلك الفرحة الشعبية العارمة التى تفجرت فى طول العالم الإسلامى وعرضه فرحين مهللين بامتلاك باكستان الإسلامية للسلاح النووى وهو قوة عصرية ضرورية لإحدث نوع من التوازن الاستراتيجى لأنه هو "رباط خيل" هذا العصر الذى يجب التزود به فى عصر لا يؤمن إلا بمنطق القوة ، وهذا مما رأيناه فى لهجة الخطاب السياسى الهندى قبل وبعد التفجيرات الباكستانية التى كانت كذلك بمثابة أنبوب اختبار للنظام الدولى ولأولئك الذين يقومون على هيكلة هذا النظام فى مرحلة ما بعد الحرب الباردة . كذلك اتضح من الدرس الباكستانى مدى النفاق القائم عليه هذا النظام ومعاييره المزدوجة التى تخدم بشكل أو بآخر مصالحه دون الالتفات إلى مصالح الدول الصغيرة ، مما حدا بدول أخرى مثل إيران ومصر وليبيا وربما السودان القيام بإعادة النظر فى تطوير القدرات النووية سواء كان الهدف منها هو الردع أو التنمية والاستخدامات المدنية السلمية .

والبند الثانى يتصل بالنظام الدولى لمنع الانتشار : فلقد جرت إعادة تشكيل نظام ما بعد الحرب الباردة وفق أسس وقواعد عدة على رأسها إحكام القيود على انتشار أسلحة الدمار الشامل . فإذا كانت الولايات المتحدة قد شرعت منذ بداية التسعينات فى تخطيط وتنفيذ هذه القيود فإن التفجيرات النووية الهندية الباكستانية كانت تحدياً صارخاً لها واختباراً لعدم فعاليتها إذا ما توافرت الإرادة السياسية لامتلاك هذه القدرات .

فلقد شقت الهند وباكستان عصا الطاعة على النظام العالمى الجديد بهذه التفجيرات النووية ، بل أعلنت كلا الدولتين على لسان المسئولين بها ، سواء فى الحكومة أو المعارضة ، تحدى هذا النظام بآلياته المزدوجة المعايير ، ومن ثم رفض التوقيع على معاهدة حظر الانتشار النووى بصورتها الحالية ، وهذا ما أعلن عنه الجانب الهندى أكثر من مرة على لسان جورج فرنانديز وزير الدفاع الهندى الذى أعلن أن "بلاده لن توقع معاهدة حظر الانتشار النووى بصورتها الحالية" ، وما أكد عليه الجانب الباكستانى الذى يرفض التوقيع على المعاهدة مالم توقع عليها الهند وإسرائيل وصرح قاضى حسين أمير الجماعة الإسلامية فى باكستان ، وهو من أهم المعارضين فى باكستان ، إبان زيارته لموقع التفجيرات "أن حكومة باكستان إذا وقعت على معاهدة حظر التجارب النووية بناء على الضغوط الأمريكية وطمعاً فى مساعدات البنوك الدولية فإنها "تحفر قبرها بيدها" ، وقال يجب على باكستان أن لا تقوم بالتوقيع على تلك المعاهدة ما لم تقم الدول النووية الخمس الكبرى بتحديد جدول زمنى لتدمير مخزونها من تلك الأسلحة المهلكة وكذلك تقوم بتقديم تعهد غير مشروط بعدم القيام بأية تجارب نووية مستقبلاً ، وأضاف بأن باكستان إذا أرادت أن تحيا بفخر بين صفوف الشعوب الحرة بالرغم من الحظر الاقتصادى المفروض عليها وسوء الاحوال المعيشية فعليها أن تكسب ثقة الدول الأخرى بقدراتها فى مجال التقنية النووية وتفتح أمامهم باب المشاركة ، وقال إن البرنامج النووى الباكستانى سد دفاعى منيع أمام التهديدات المتصاعدة للهند ، كما أن المعاهدات الدولية لحظر التجارب النووية وتقنية التحكم بالصواريخ وغيرها أثبتت عدم مصداقيتها وفشلها لأنها بدلاً من أن تقضى على التسلح النووى فى العالم فإنها تعهد به إلى دول مخصوصة بعينها" (جريدة المنصورة لاهور 1998/8/24) وفى هذا السياق صرح سرتاج عزيز وزير خارجية باكستان أن باكستان لن توقع على معاهدة منع الانتشار النووى فى ضوء هذا القصور فى النظام العالمى لمنع الانتشار وسياسة التمييز والانتقائية التى تريد أن تفرضها الدول النووية الكبرى" .

تنصب المجموعة الثانية من دلالات هذه التفجيرات على صعيد التوازنات الإقليمية ويمكن تلخيصها فى الآتى:

1- إذا كانت الحكومة الباكستانية لم تشر إلى "أسلمة" هذا الحدث إلا أن الشعب بكل توجهاته أعلن أن هذه القوة النووية للمسلمين جميعاً .

2- كان دخول باكستان للنادى الذرى حدثاً هاماً بالنسبة للمسلمين ونقطة تحول فى مسيرة الأمة الإسلامية ، وقد عبر عن ذلك علماء الأمة الإسلامية على اختلاف مذاهبهم .

3- من الملاحظ أن الأصولية الهندوسية المتزايدة فى الهند ستقابل بمزيد من التصدى من جانب أصوليات إسلامية أخرى فى باكستان وأفغانستان وإيران وربما بنجلاديش وظهور ما يسمى بـ "حرب الأصوليات" .

4- كانت التفجيرات الهندية فرصة تاريخية لباكستان لاجراء تجاربها النووية دون أن يلومها أحد من العالم ، لأنها ترد على تهديد أمنها القومى ، وأن الهند هى التى أشعلت فتيل التفجيرات .

5- أدت التفجيرات الهندية إلى تدويل مشكلة كشمير وإعادتها إلى جدول الاعمال الدولية بعد أن كانت قضية داخلية اقليمية بين الهند وباكستان ، وبدأت الأمم المتحدة تطالب بحل هذه القضية العالقة منذ ما يزيد على خمسين عاماً حتى لا تكون سببا مباشراً لنشوب حرب ربما تكون عالمية .

6- أدت التفجيرات الهندية إلى تكريس الفقر والانقسام فى الداخل بين طوائف الشعب الهندى فى حين وحدت التفجيرات الباكستانية بين

صفوف الشعب والمعارضة فى ظاهرة فريدة من نوعها على المجتمع الباكستانى .

7- أدت التفجيرات النووية الهندية إلى زيادة المخاطر المحدقة بالأمن القومى الهندى ، وليست كما أراد لها الحزب الهندوسى المتعصب - بهارتياجاناتا-حيث حفز باكستان على على المضى قدماً فى طريق تطويرها لبرنامجها النووى .

8- زادت مساحة العداء بين الهند والصين نتيجة للتصريحات غير المسئولة لوزير الدفاع الهندى عشية التفجيرات ، وهذا سيدفع لمزيد من التعاون والتقارب بين الصين وباكستان .

9- عالمياً - فشلت امريكا فى تطويع هذه المنطقة داخل النظام العالمى الجديد فبعد أن فشلت أمريكا فى الهند وإيران وأفغانستان ، فشلت كذلك فى إثناء باكستان عن رغبتها فى التفجيرات رغم سياسة الترهيب والترغيب التى اتبعتها معها .

10- إقليميا - ظهرت تصريحات فى الهند وباكستان تشير إلى استحالة نشوب حرب رابعة بين الدولتين لأنها ستكون هذه المره حرباً مدمرة لهما وللعالم بأسره .

الهوامش:

1- ب . م يودجاونكار صحيفة "هندو" نيودلهى 7 يونيو 1998

2- رضا على : باكستان اتيم بم . لاهور. مارس 1993 (الطبعة الأولى) ص : 248-250 .

3- المرجع نفسه ص : 270 .

4- محمد إلياس خان - باكستان ، جوهرى بروجرام ، إسلام آباد 1997 ص: 110-115 .

5- المرجع نفسه ص : 120-122 .

6- محمد اسلم دوجر - مغربى ميدياكا إسلامى بم .لاهور . (الطبعة الأولى) 1997 ص : 403-408 .

7- مجلة زندكى . لاهور . عدد : 2 31 مايو 1998 وصحيفة "قومى آواز" نيودلهى 12 مايو 1998 . ومجلة "الرباط" عدد : 17 يونيو 1998 . لاهور باكستان.

8- رضا على : باكستان اقيم بم ص 126-152 .

أيضاً : محمد إلياس خان ، باكستان كاجوهرى بروجرام : 25-27 .

أيضاً : محمد اسلم دوجر : مغربى ميديا كا إسلامى بم : 191-254 .

9- يونس خلش : دكتور عبد القدير أوركهوته ايتمى سنتر الطبعة الأولى .

لاهور 1989 : 107-132 .

أيضاً : مجلة كشمير المسلمة عدد : 74-75 يونيو ويوليو 1998 .

أيضاً : مجلة جسارت لاهور (باكستان) عدد : 28 ، 5 يونيو 1998 .

10- مجلة "نداء ملت" لاهور . عدد : 21 يونيو 1998م .

أيضاً : مجلة "هفته" لاهور - 23 مايو 1998 .

11- نداء ملت عدد: 21 يونيو 1998م.

12- أيضاً : كشمير المسلمة عدد : 74-75 يونيو ويوليو 1998 .

جسارت : عدد 28 ، 5 يونيو 1998 . (وفى لقاء الباحث مع ثمر مبارك مساعد د. عبد القدير خان) .

13- لرباط : لاهور . عدد: 17 يونيو 1998 .

14- المرجع السابق .

15- كشمير المسلمة عدد: 71 مارس 1998.

16- محاز كشمير: أول ابريل 1998م.

17- جسارت. لاهور عدد: 15 مايو 1998 .

18- المجتمع . الكويت عدد : 1307، 7 مايو 1998 . ص : 40 .

19- المرجع السابق : 41 .

20- مجلة "هفته" 22 مايو 1998 .

أيضاً : خورشيد أحمد . ترجمان القرآن. لاهور . يوليو 1998 .
21- جريدة "قومى آواز" نيودلهى . 15 مايو 1998 .
22- حميدجل رئيس المخابرات الباكستانية السابق (زندكى . لاهور . 24 مايو 1998) .
23- سر دار أحمد - وزير الخارجية السابق (نداء ملت : عدد 19 ، مايو 1998) .
24- صحيفة نوادى وقت لاهور 29 مايو 1998.
25- صحيفة جندً لاهور . 20 مايو 1998 .
26- مجلة كشمير المسلمة 47-75 يونيو - يوليو 1998 . ص : 10 .
27- قومى آواز - نيودلهى 12 مايو 1998 .
أيضاًعوام . نيودلهى . 12 مايو 1998 .
أيضاً : هندو . نيودلهى . 12 مايو 1998 .
28- قومى آواز . نيودلهى 14 مايو 1998 .
29- عوام . نيودلهى . 30 مايو 1998 .
30- نواى وقت . لاهور - 19 مايو 1998 .
31- نداء ملت - عدد 21 يونيو 1998 .
32- صوت المنصورة لاهور يونيو 1998 .
33- Link , New delhi gonuary 1998
أيضاً خورشيد أحمد ، ترجمان القرأن . يوليو 1998 .
34- صحيفة "نيشن" إسلام آباد 18 مايو 1998 .
أيضاً - كشمير المسلمة . عدد 74-75 يونيو ويوليو 1998 .
أيضاً - ترجمان القرآن يوليو 1998 .
35- خورشيد أحمد . ترجمتان القرآن - يوليو 1998 .
36- كشمير المسلمة . عدد 74-75 يونيو ويوليو 1998 .
37- جسارت . لاهور 29 مايو 1998 .
38- قومى آواز . نيودلهى 12 مايو 1998 .
أيضاً . هندو - نيودلهى 12 مايو 1998 .
39- عوام نيودلهى 16 مايو 1998 .
40- زندكى - لاهور - 2 يونيو 1998 .
41- ايشيا - لاهور - عدد 24 ، 11 يونيو 1998 .
42- جهاد كشمير - مظفر آباد 30 يونيو 1998.
43- قومى آداز نيودلهى 14 مايو 1998 .
44- هندو نيودلهى 18 يونيو 1998 .
45- عوام نيودلهى 16 يونيو 1998.
46- شاهباز شريف رئيس وزراء البنجاب فى 29 يونيو . جنك لاهور 1998.
47- شاهنواز فاروقى - جسارت . لاهور 29 مايو 1998 .
- أيضاً - جهاد كشمير (حديث مع سيد على جيلانى اسير حزب المجاهدين) 30 يونيو 1998 .
- خورشيد أحمد . ترجمان القرآن - يوليو 1998.
48- كشمير للسلمة . عدد 73 مايو 1998 .
- أيضاً - جسارت . لاهور 29 مايو 1998 .
49- جنك لاهور 15 يونيو 1998 .
50- محمد اسلم دوجر . مغربى ميديا كاإسلامى بم لاهور . 1997 ص : 101-110 .
51- المرجع السابق : 403-411 .
52- جنك . لاهور. 15 يونيو 1998.
53- ظهرت كتب حديثة فى باكستان تناولت هذه الافكار بالبحث والتدقيق منها :
1- رضا على : باكستانى اقيم بم . لاهور. مارس 1993 .
2- محمد إلياس خان : باكستان كاجوهرى بروجرام . إسلام آباد 1997 .
3- محمد اسلم دوجر : مغربى ميدياكا إسلامى بم . لاهور . 1997 .
54- جسارت لاهور 29 مايو 1998 .
55- نداء ملت . عدد 21 يونيو 1998 .
56- نواى وقت 15 يونيو 1998 .
57- Link . New delhi . ganuary 19, 1992 .
- Hindo . New delhi . 31, dec 1996 .
- Outlook . New delhi , August ,6 1997 .
58- خورشيد أحمد . ترجمان القرآن . يوليو 1998 .
- كشمير المسلمة : عدد 74-75 يونيو/ يوليو 1998 .
59- رضا على : باكستانى أقيم بم . لاهور . مارس 1993 ص : 248-250 .
- أيضاً : محمد إلياس خان : باكستان كاجوهرى بروجرام . إسلام آباد 1997 ص80-85 .
60- هندوستان تايمز ، 29 ابريل 1998 .
61- جنك لاهور 10 مايو 1998 .
أيضاً : جهاد كشمير - راولبندى 30 يونيو 1998 .
62- نداء ملت لاهور 4-10 يونيو 1998 .

63- محاز كشمير ، إسلام آباد 10 مارس 1998 .
64- كشمير المسلمة ، إسلام أباد يونيو 1998 .
65- جريدة المنصورة لاهور 24 اغسطس 1998 .
66- جنك لاهور ، 20 اغسطس 1998 .